الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة قاصدي مرباح - ورقلة -

كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

العنــوان:

المقاصد التداولية في الخطابات الساخرة «كتاب الأجوبة المسكتة لابن أبي عون أنموذجا»

مذكرة تخرج من متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبة:
لطيفة ذويب

لجنة المناقشة:
د/حمزة قريرة.....رئيسا
د/حسين دحو.....مناقشا
د/إبراهيم إيدير.....مشرفا

1440هـ/ 2018م
1441هـ/ 2019م

وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ

«سورة ص الآية 20»

شكـــر

إلى من وجهنا بدون وهن، إلى كان منبع للعلم والمعرفة أستاذنا الفاضل المشرف على هذه المذكرة ، الدكتور: إبراهيم إيدير

إلى أساتذتي في قسم اللغة والأدب العربي

إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد ولو بكلمة أو دعوة صالحة.

وقبل كل شيء أشكر الله وأحمده حمدا كثيرا على أن وفقنا وأمدنا بالإرادة والصبر.

لطيفة

إهـداء

إلى جنّة الحياة ... أمي الحبيبة

إلى نور الحياة ... إلى من أحمل اسمه بافتخار... أبي العزيز

إلى سندي ... إخوتي و أخواتي

إلى من غمرني بدعائه وساندني في كل لحظة "محمد الشريف"

إلى جدتي

إلى جميع أهلي

إلى أستاذي المشرف مع بالغ امتناني

إلى كل من علمني حرفا

إلى طالب العلم

لطيفة

مقدمـــة

إنّ التيار التّداولي هو نمط جديد من الدّراسات اللغوية نسعى للتعريف به في تعامله مع النّصوص الأدبية، إذ تشكل هذه الدراسات نظرة جديدة على ظاهرة التّواصل البشري. فهو منهج يسعى إلى دراسة علاقة النّشاط اللغوي بمستعمليه، ودراسة الخطاب والبحث عن النظام والعمليات التي تساهم في تحويل اللغة إلى خطاب منتج في وضعية معيّنة، كما أنّه يكشف عن طبيعة العلاقة بين اللغة والسّياق بمفهومه الواسع الاجتماعي المتمثل في المعطيات المشتركة بين المتكلم والمتلقي وما يجمعهما من وضعيات ثقافية وتجارب ومعارف سابقة، تنوّعت بين الخطابات الكتابية والشّفوية. والكاتب السّاخر له نظرة عميقة للواقع والقدرة على نقده وكشف عيوبه، وهو إنسان ثائر على المجتمع لا يرضى بالواقع، كما هو في سعي دائم للتعبير بهذه الآداة كسلاح لمواجهة التّناقضات الموجودة في المجتمع، فأصبح الكاتب الآن يتعامل مع السّخرية ليس باعتبارها ظاهرة أسلوبية وإنّما باعتبارها استراتيجية تسمح بالدخول إلى عالم الآخر بطريقة تستدعي الذّكاء والفطنة متحايلا على الرقابة وحرّاس القلعة السّامعة، فأدب السخرية جنس أدبي إنساني راق، ولعلّ إبراهيم بن أبي عون من بين الكتّاب الذين تميّزت أعمالهم بهذه الظاهرة الأسلوبية، التي كثيرا من الأحيان تؤدي لبلوغ المقاصد، وقراءة هذا الكتاب جعلتنا نقدم إشكالية رئيسية تمثّلت في: **ماهي المقاصد التّداوليّة التي تقوم عليها الخطابات السّاخرة في الأجوبة المسكتة؟**. وتفرّعت عن هذه الإشكالية عدّة تساؤلات، نذكر منها:

*ما هي الخلفيات الإيديولوجية والسياسية التي ساهمت في إنتاج هذا الكتاب؟

*ما السخرية؟ وكيف تجلّت في الأجوبة المسكتة؟

*ما هي الآليات الحجاجية التي اتخذها ابن أبي عون سبيلا لبلوغ مقاصده؟

ومن هنا جاءت فكرة البحث لهذه الدّراسة الموسومة بـ: **المقاصد التّداوليّة في الخطابات السّاخرة في الأجوبة المسكتة.**

ومن أكثر الأسباب التي دفعتني لهذه الدراسة، هو إعجابي الشديد بهذا الكتاب فيما يحتويه وبشخصية كاتبه إبراهيم ابن أبي عون، فاعتمدت في ذلك منهجا ليكون مناسبا لها وللمقاصد التي يبتغيها مؤلفها، والسبب الآخر الذي دفعني لهذه الدّراسة، –وحسب إطلاعي– أنه لا توجد دراسات حول هذه المدوّنة، وإن كانت فهي قد درستها من مستوى إيديولوجي أو بلاغي أو أسلوبي.

وما دام أن لكلّ دراسة أهدافا فإنّ الهدف الذي أصبو إليه من خلال بحثي؛ هو التّعريف بهذه المدوّنة. رغم أنّها كانت في حقبة ما من أهم الأسفار التي ذاع صيتها وتداول عليها النّاس خاصة في نهاية العصر العباسي الثاني وبداية العصر العباسي الثالث الهجريين، وقبل كلّ هذا أنّ هذه الظاهرة الفنيّة الأسلوبية (الجواب المسكت) موجودة في العقل ومتداولة بين النّاس خاصةً الساخرة منها. كما أنّني أردت الرّبط بين عناصر المحتوى العربي القديم بمنهج نقدي حديث. إذ رأيت في هذا الأخير ما يتناسب والقصد من هذه الدراسة. وكذلك هدفي هو الكشف عن الخطابات الساخرة في الأجوبة المسكتة أولا، ومن ثمّة الكشف عن المقاصد التداولية الكامنة في هذه الخطابات.

لقد اعتمدت على خطّة تكوّنت من فصلين أساسيين تسبقهما مقدّمة ومدخل وتتبعهما خاتمة. أمّا **المقدمة** طرحت فيها سيرورة البحث التي تقوم على: عنوان الدراسة، والإشكالية،

والأسباب، والأهداف، والخطّة...، أمّا **المدخل** باعتباره عتبة حاولت من خلاله التّعرف على ماهية مصطلح المقاصد، أمّا الفصل الأول وسمته بـ: **السّياق التّداولي العام وقصديّة الكتابة،** قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث، أوّلها: المشهد الفكري والسّياسي باعتبارهما موّجهين لنتاج ابن أبي عون، وفيه الحديث عن سياق نتاج ابن أبي عون ثم خصّصت المساحة للحديث عن هذه المدوّنة، أما المبحث الثاني عنونته بـ: السخرية وطريقة تجليها في الأجوبة المسكتة، أما المبحث الثالث فعنونته بـ: الاستراتيجية التخاطبية والتي يتولد من خلالها الخطاب الذي لا بد أن يكون مُحالا على السّياق. أما الفصل الثاني وسمته بـ: **المقاصد التّواصليّة ونقد المؤسسة الاجتماعية،** والذي قسمته إلى أربعة مباحث؛ أما المبحث الأول فعنونته بـ: قصد الإخبار والاستخبار والبحث فيه ساقني إلى كيفية تجلي الخبر في الخطابات الساخرة المسكتة ثم انتقلت لتحديد علاقته بسياق السؤال والجواب وقصد الإفهام والفهم، والمبحث الثاني عنونته بـ: حجاجية التمثيل البلاغي وآلياته في الخطابات الساخرة، وفيه الحديث عن الآليات الحجاجية البلاغية والروابط الحجاجية، ومدى إنجازية هذه الصّيغ الحجاجيّة، أمّا المبحث الثالث خصصته لدراسة الفعل الكلامي والقصد التوجيهي تضمّن الحديث عن خروج الخبر والإنشاء عن معانيهما الأصلية في الخطاب الساخر المسكت وعلاقتهما بالقصد التوجيهي، والمبحث الرابع المعنون بـ: الإشاريات والعلاقات التّخاطبية. وفيه محاولة لتتبع طريقة تجلي المقاصد من خلال شبكة القرائن القرائية للخطاب الحجاجي لابن أبي عون، وهي الإشاريات الشخصيّة والإشاريات الزمانية والإشاريات المكانيّة، وكيف تساعد على تأويل الخطاب والكشف عن المقاصد، ومنه نصل إلى **خاتمة**

اشتملت على أهم النتائج التي توصّلت إليها هذه الدراسة.

أمّا المنهج الذي اعتمدته في بحثي هو المنهج التداولي الذي حاولنا فيه أن نكشف عن إجراءاته وكيف اشتغلت في المدوّنة التراثية.

وقد واجهنا في هذا البحث جملة من الصعوبات خاصة في المفاهيم التّداولية، بحيث لم تكن لديّ أية فكرة عن هذا النوع من الدراسات والمناهج، فعند قراءتي لهذه النّظرية استصعب عليّ بعض الشيء كما أنه اختلط أمره عليّ، إذ تكوّنت عندي هذه المادة المعرفية والأدوات المنهجية والإجرائية في فترة جد وجيزة، لكني أصررت على هذا النوع من الدّراسات نظرا لما تستلزمه هذه المدوّنة الثمينة –حسبما أرى– أنّ أهميّتها تكمن في مقاصدها التّداوليّة.

واعتمدت في هذه الدراسة على عدّة مراجع أهمها:

- **السخرية في الأدب العربي**، إعداد: نعمان محمد أمين طه، دار التوفيقية للطباعة، الأزهر، ط1، 1978م.
- **السخرية والفكاهة في النثر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، إعداد: نزار عبد الله خليل، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة مؤتة 2005.
- **استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية**، إعداد: عبد الهادي بن ظافر الشّهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت.
- **اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي**، الإعداد: طه عبد الرحمن، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب،1988.

- **الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة تداوليّة في معجم سيّاقي،** إعداد: علي محمود حجي الصّراف، ط1، مكتبة الآداب،2010.

- **الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية،** إعداد: عبد الله صولة، ط2، دار الفرابي، بيروت، 2007.

- **القصديّة في الأدب الكبير لابن المقفع، دراسة تداوليّة،** مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إعداد: إبراهيم إيدير، جامعة مولود معمري تيزي وزو.

أما عن الدّراسات السابقة التي تناولت موضوع السّخرية والمقاصد التّداوليّة فهي قليلة نذكر منها: **السخرية ودلالتها في مسرحيّة محمد الماغوط،** رسالة ماستر، إعداد: سناء مدقن، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2017.

ولا يسعني في الأخير إلاّ أن أقول: حسبي أنني اجتهدت، لكنّ التقصير من طبع البشر، ولكل شيء إذا ما تمّ نقصان، وأسأل الله تعالى التوفيق والهداية إلى سواء السّبيل.

ورقلة في: 19 شوال1440هـ / 22 جوان2019م.

لطيفة ذويب

مدخـــل:

القصدية: ماهية المصطلح عند الباحثين

القصدية: ماهيّة المصطلح لدى الباحثين:

للخطاب الساخر معانٍ ودلالات لغوية للمخاطب، نفهمها من خلال تأويلنا لكذا خطابات. وبما أن النص أو الخطاب بنية كاملة تحمل معاني موضِعية تمليها علينا لغة الخطاب وطبيعته من خلال الدلالة الحَرفية. ومعاني ضِمنية استلزامية نصل إليها من خلال وسائط معينة كالسياق والكفاءة اللغوية والذهنية كوسائل لاكتشاف هذه المعاني وفهم مقاصدها. وعليه فإن هناك فروقا بين هذين المعنيين، «فرقا بين الاستعمال الحرفي والاستعمال غير الحرفي للّغة حسب التقاليد اللغوية الموروثة عن البلاغة التقليدية، لا توؤل الأقوال الحرفية وغير الحرفية بالطريقة نفسها. وليس للأقوال الحرفية إلا معنى واحدا هو معناها الحرفي، أما الأقوال غير الحرفية، فلها معنيان: معناها الحرفي ومعناها غير الحرفي أو المجازي».[1]

[1] يونسي فضيلة: **مفهوم المقاصد وعلاقتها بالخطاب، تناول تداولي للخطاب الثوري**، المركز الجامعي البويرة، ص290.

تعريف المقاصد:

أ- لغة:

جاء القصد في معجم العرب لابن منظور: «القصد: استقامة الطريق، قصد يقصد قصدا فهو قاصد، وقوله تعالى:﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ «سورة النحل، الآية6» إذا على الله تبين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين، وفي الحديث: كانت صلاته قصدا"وفي حديث آخر:"القصد تبلغوا" أي عليكم بالقصد من الأمور في القول والفعل وهو الوسط بين الطرفين»[1].

ويرى ابن جني" أصل (ق ص د) ومواقعها في كلام العرب الاعتزام والتوجه والنهوض نحو الشيء على اعتدال كان ذلك أو جور، هذا أصله في الحقيقة وإن كان يخص بعض المواضيع يقصد الاستقامة دون الميل، ألا ترى أنك تقصد الجور تارة، كما تقصد العدل أخرى فالاعتزام والتوجه شامل لهما جميعا.[2]

ب- اصطلاحا:

لقد تعدّدت مفاهيم القصد في العديد من الدراسات النظرية، العربية والغربية. فالقصد عند البلاغيين هو مدار البحث، فكان المركز في "بيان الجاحظ" و"معاني السكاكي" هو الأحوال والمقاصد؛ وكذلك كان عند "الجرجاني في نظرية النظم"، والذي لمّح في مواطن

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، (مادة قصد) م3، ط1، دار الصادر، بيروت، 1994، ص253.

[2] المصدر نفسه، ص353-354.

عديدة إلى أن «القصد هو المعنى»،[1] فيدل مفهوم القصد على أحد ثلاثة مفاهيم عامة، هي كما أوردها "الشهري": دال على الإرادة – القائم على عملية الإفهام والفهم للخطاب بين المتكلم والمتلقي، دال على المعنى، دال على هدف الخطاب.[2] أما "طه عبد الرحمن" فصنّف دلالتين لمفهوم القصد: القصد بمفهوم الإرادة وهو الفعل فيه مصحوب بالقصد المصحوب بإرادة المتكلم لعملية الفهم والإفهام للخطاب، «والقصد بمفهوم المعنى وهو الاعتناء بالمعاني المبثوثة في الخطاب هو المقصود واللفظ وسيلة لتحصيل المعنى المبتغى، فالمعنى هو المقصود. إذ العملية القصدية يجب أن تتجسد من خلال الإستراتيجية التخاطبية وتكون بين طرفين إنسانيين: مرسلا ومتلقيا، بيد أن المقاصد أنواع: أولي يتجلى في المعتقدات والرغبات التي تكون لدى المتكلم، وثانوي يكون فيما يعرفه المتلقي من مقاصد المتكلم، وثلاثي ينعكس في هدف المتكلم الذي يريد أن يجعل المتلقي يعترف بأنه يريد جوابا ملائما».[3]

فمبدأ القصدية ضرورة يقتضيها كل كلام، وهذا ما أكده طه عبد الرحمان في كتابه اللسان والميزان أو التكوثر العقلي «ومقتضاه أنّه لا كلام إلاّ مع وجود القصد، وصيغته هي: "الأصل في الكلام القصد"، ومعلوم أن القصد من القول هو الذي يوّرث استلزاماته الصبغة السياقية أو المقامية...، والمقصدية خاصة عدّة حالات عقلية وأحداث تتوجه نحو أشياء وحالات واقعية في العالم، التي هي مثل الاعتقاد، التمني، الرغبة...، فهذه وراءها

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري: **استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية**، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت،2001.

[2] بتصرف: يونسي فضيلة: **مفهوم المقاصد وعلاقتها بالخطاب**، ص283.

[3] محمد مفتاح: **تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص**، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،1992، ص164-165.

مقصدية».[1] والقصد حتمية الكلام يلازم المخاطِب مرتبطا بوضعيته ووضعية المخاطب وظروف الخطاب- هذا ما يراه معظم الدارسين-، وذلك عن طريق اللغة التي تحيل على المخاطب لتحديد معنى الخطاب، التي تستوجب على المخاطِب الوصول إلى المقاصد المعنية واكتشافها، ولهذا يحتج صاحب المغني على أنّ «القصد شرط في بلوغ الكلام تمامه معتمدا على ملاحظة أن الكلام في الشاهد يكون أمارة لما يريده المتكلم بحيث يكون دليلا على مقصود المتكلم وعلى أن المتكلم أراد أن يبلّغ مراده بمقصوده».[2] ومنه، فإنّ غاية قصد المرسل هي إفهام المرسل إليه وذلك بالاعتماد على اللغة «بحيث يكون المرسل مالكا إياها متمكنا منها بجميع مستوياتها، كالمستوى الدلالي وما يحتويه من معارف مواضِعاتية تنتج خطابا منظما».[3] فاللغة تفوق ذلك النظام الذهني المجرد وتتعداه إلى تلك الوظيفة التي بدورها تحقق التفاعل والترابط والانسجام بين عناصر الخطاب بما يخدم السياق، الذي يعتبر عاملا آخرا يتحكم في اتضاح المقاصد وبلوغها لأنّ «دلالة العبارة هي استلزام القول للمعنى المقصود من سياقه»،[4] وعدم فهم القصد ينتج لنا خطابات غير مناسبة للسياق. وعليه لا تتم عملية إبلاغ المقاصد حتى ينصب الاهتمام على إفهام هذا القصد وفهمه.

تعتبر اللغة «"لفظا معينا" يؤديه "متكلم معين" في "سياق ومقام معين" وموجه إلى

---

[1] طه عبد الرحمن: **اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي**، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب،1988، ص103.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري: **استراتيجيات الخطاب**، ص182.

[3] المرجع نفسه، ص183.

[4] يونسي فضيلة: **مفهوم المقاصد وعلاقتها بالخطاب**، ص285.

"مخاطب معين" لأداء" غرض تواصلي معين"»،[1] إذ ومن خلال اللغة ووظيفتها في هذا السّياق فإنها تتمثل وتتجسد في تحديد الدور الأساسي للمقاصد في بلورة المعنى كما هو عند المرسل، «إذ يتوجب عليه مراعاة كيفية التعبير عن مقصده، وانتقاء الاستراتيجية التي تتكفل بنقله من مراعاة العناصر السياقية الأخرى».[2]ولا يكفي امتلاك الكفاءة اللغوية لدى المرسل لإبلاغ المقاصد، بل وجب عليه استثمار هذه الكفاءة التداولية بما فيها من استثمار جيد لهذه الأدوات والوسائل عن طريق نقل هذه المقاصد للمتلقي. «**فالأصل في الكلام القصد**»[3] كما يقول "طه عبد الرحمن"، ومنه فلا يكون الكلام كلاما إذا لم يقضي وجود القصد.

كما أشار النحاة إلى أنّ المعاني التي تعارف عليها المعاصرون باسم القصدية، وهذا ما نجده عند "السيوطي" مصرحا بأنّ «صناعة النحو قد تكون فيها الألفاظ مطابقة للمعاني وقد تكون مخالفة لها إذا فهم السامع المراد، فيقع الإسناد في اللفظ إلى شيء وهو في المعنى شيء آخر إذا علم المخاطب غرض المتكلم، وكانت الفائدة في كلا الحالين واحدة».[4]«والمقصدية في الخطاب هي عصب الكلام وسبب ديناميته»، كما عبر عن ذلك "محمد مفتاح":«وهي ركن عتيد في التحليل التداولي»،[5]«فالمقاصد هي لب العملية التواصلية، لأنه لا وجود لأي تواصل عن طريق العلامات دون وجود قصدية وراء فعل

---

[1] مسعود صحراوي: **التداولية عند العلماء العرب**، ص203.

[2] يونسي فضيلة: **مفهوم المقاصد وعلاقتها بالخطاب، تناول تداولي للخطاب الثوري**، ص283.

[3] طه عبد الرحمن: **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**، ص103.

[4] مسعود صحراوي: **التداولية عند العلماء العرب**، ص201.

[5] خالد ناصري: **مقاصد الخطاب في الأربعين النووية، مقاربة تداولية**، حوليات الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف المسيلة، ص116.

التواصل، ودون وجود إيداع أو على الأقل دون وجود توليف للعلامات».[1]

أما "جون سيرل" وبعد إعادة تناوله لنظرية أستاذه "أوستين" القائمة على أن التداولية هي تعامل لغوي، وجزء من علم التعامل الاجتماعي، فاهتم باللغة وأخذ ليدرسها من قبل أفراد المجتمع، فإدخالها في دائرة التأثير والتأثر بين هذه الأفراد، ليصل بذلك إلى العملية التواصلية. اهتم "سيرل" بالقصدية موجها اهتمامه إلا بالأعمال المتضمنة في القول، بحيث يتمثل إسهامه الرئيسي في التمييز داخل الجملة بين ما يتصل بالعمل المتضمن في القول (الأفعال الكلامية) في حدّ ذاته، وهو ما يسميه واسم القوة المتمثلة في القول، وما يتصل بمضمون العمل وهو ما يسميه واسم المحتوى القضوي،*[2] فتناوله هذا ناتج عن تطويره لبعدين من أبعاد نظرية أستاذه الرئيسية هما:«المقاصد والمواضعات وبالفعل يمكننا اعتبار الأعمال اللغوية والجمل التي أنجزت بواسطتها وسيلة تواضعية للتعبير عن مقاصد وتحقيقها. وهذا المظهر كان حاضرا لدى "أوستين" ولكن سيعرف أوج تطوره لدى "سيرل"».[3]

أما اهتمام "سيرل" الثاني، يسهم في تحديده للشروط التي بمقتضاها يكلل عمل متضمن في القول بالنجاح، إذ بفضله تمكن من تقديم تصنيف جديد للأعمال اللغوية المتضمنة في القول هي[4]:

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، **استراتيجيات الخطاب**، ص183.

[2] آن روبول وجاك موشلار، **التداولية اليوم، علم جديد في التواصل**، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مرا: لطيف زيتوني، المنطقة العربية للترجمة، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2003، ص33. ***المحتوى القضوي**: وهو شرط من شروط الملاءمة التي تحدّث عنها أوستين وطوّرها، والتي إذا تحققت في الفعل الكلامي كان موفقا.

[3] آن روبول وجاك موشلار: **التداولية اليوم**، ص33.

[4] المرجع نفسه، ص34.

1-القواعد التحضيرية: ذات الصلة بمقام التواصل وفيه يتحدث المتخاطبون اللغة نفسها، ويتحدثون بنزاهة.

2- قاعدة المحتوى القضوي: وفيه يقتضي الوعد من القائل أن يسند إلى نفسه إنجاز عمل في المستقبل.

3-القواعد الأولية: المتعلقة باعتقادات تمثل خلفية، المتلفظ فيها يتمنى من تلفّظ بأمر أن ينجز العمل الذي أمر به، وليس بديهيا أن ينجزَ دون هذا الأمر.

4-قاعدة النزاهة: ولها صلة بالحالة الذهنية للقائل بحيث يكون نزيها عند الإثبات أو الوعد.

5-القاعدة الجوهرية: التي تحدّد نوع التعهّد الذي قدمه أحد المتخاطبين، يقتضي فيه الوعد أو التقرير التزام القائل بخصوص مقاصده واعتقاداته.

6- قواعد القصد والمواضعة: وهي التي تحدد مقاصد المتكلم والكيفية التي ينفّذ بها هذه المقاصد بفضل المواضعات اللغوية.

ومن خلال ما سبق يبدو أن أخذ الاعتبار للمقاصد المتضمنة في الخطاب تحيلنا إلى فهمه، والذي بدوره تتحقق لنا عملية التّواصل الفعالة. وبما أنّ للخطاب استراتيجية، والمخَاطِب أحد أهم عناصر هذه العملية التخاطبية، فقد اهتم ستراوسنP.f.Strawson و"غرايسP.Grice بقصد المؤلف على حساب الصورة، التي تكسو الفعل اللّغوي الذي ينجزه، منطلقين بذلك من نظرية أفعال الكلام، التي سجلت الحضور الفعلي للمتكلم عبر مقاصده، ذلك لفعله اللغوي الذي يجب أن يكون ناجحا حتى تتضح هذه المقاصد المباشرة أو المقاصد المتضمنة في

الأفعال غير المباشرة، فهذه المقاصد اعتبرت أحد الشروط الضرورية والكافية لنجاح الفعل اللغوي،[1] إذا؛ تعتبر هذه المقاصد أحد الشروط المهمة والضرورية وربما الكافية لنجاح الفعل اللغوي في إيصال المقاصد التداولية بنوعيها سواء المباشرة الظاهرة الحرفية في الكلمات والجمل، أو غير المباشرة المتضمنة ذات المعاني المستلزمة التي ترتبط بالمغزى من استعمال هذا الفعل أو ذاك.

[1] ينظر: يحي رمضان: **القراءة في الخطاب الأصولي، الاستراتيجية والإجراء**، ط1، عالم الكتب الحديث، ص144، نقلا عن: نسيمة تشابونت: **قصدية التواصل في الخطاب الكاريكاتوري، دراسة تداولية**، جريدة الخبر أنموذجا، ص40.

الفصل الأول: السياق التداولي العام وقصدية الكتابة

تمهيد

المبحث الأول: المشهد الفكري والسياسي باعتبارهما موجهين لنتاج ابن أبي عون

المبحث الثاني: السخرية وطريقة تجليها في الأجوبة المسكتة

المبحث الثالث: الاستراتيجية التخاطبية

إنّ التّطور الهائل الذي شهدته كلّ مجالات الحياة في العصر العباسي أوجدته ظروف سياسية كانت لها الفضل في ذلك، ففتحت المجال أمام العلماء والمفكرين والأدباء. إذ شهد العصر العباسي نهضة حضارية عظيمة وحركة فكرية رائدة امتدّت لتشمل العديد من المجالات، وكان لوعي الخلفاء والحكام ورعايتهم للعلم والفن والثقافة والأدب أكبر الأثر من خلال تشجيع العلماء والأدباء والفقهاء والشعراء على الإجادة والإبداع، وإشعال الرغبة في التميز في نفوسهم حيث حظي هذا الأخير بمكانة متميّزة، ليس في بلاط الخلافة فحسب وإنّما صارت لهم منزلة مرموقة في المجتمع كله.

لقد انقسم العصر العباسي إلى أربعة عصور، لكل منها ما يميزه عن غيره في ظروف معينة، وأمراء وحكماء تميّزوا في فتراتهم، فكان لهم الفضل في تطورها وتغيّرها، قد تكون من أحوال سيّئة إلى أحوال أحسن وقد تكون العكس، وهذا التقسيم اختلف فيه الدارسون والمؤرخون في تحديد فتراته، كما أنه اختلف الكثير منهم في أن العصر العباسي ينقسم إلى ثلاثة عصور وليس بأربعة. كما اعتدنا أن نجد في كتب التاريخ أن العصر العباسي (العصر الذهبي) يقسم على حقب زمنية تسمى عادة باسم (العنصر المسيطر)، لذلك قسم هذا العصر إلى أربع حقب كما يأتي[1]:

1- **العصر العباسي الأول** : وهو العصر الذي كانت فيه السيادة للخلفاء الأقوياء من بني العباس الذين استطاعوا أن يحسموا النزاع الدائر بين (العرب والفرس) لصالح العرب،

[1] **ينظر**: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية، **الجزء الثاني، المكتب الإسلامي، ط 6، 2000م، ص41.**
وثائر سمير حسن الشمري: الأدب العربي في العصر العباسي، **كلية التربية الأساسية، قسم اللغة العربية،جامعة بابل، 2014. ص1. www.uobabylon.edu.iq/eprintsLpublication_2_2877_619.pdf**

ويمتدّ السقف الزمني لهذا العصر من تاريخ تأسيس الدولة العباسية عام (132هـ) إلى عام (232هـ).

2- **العصر العباسي الثاني:** وهو عصر سيادة الأتراك على ساحة الخلافة، ويمتد هذا العصر من عام (232هـ) إلى عام (334هـ).

3- **العصر العباسي الثالث:** وهو العصر الذي ظهر فيه نفوذ البويهيين على الساحة السياسية والعسكرية، من عام (334هـ) وينتهي عام (447هـ).

العصر العباسي الرابع: وهو عصر ظهور السلاجقة على ساحة الخلافة، والذي يبدأ عام (447هـ) وينتهي بسقوط بغداد عام (656هـ).

إنّ في ذكرنا لهذه العصور العباسية وجب أن نركّز على أهم مرحلة، التي ساقتنا إليها مدوّنة الدراسة "الأجوبة المسكتة"، والتي تحمل عنوانا آخر:(لبّ اللباب في جوابات ذوي الألباب)، -هي النسخة الوحيدة الكاملة لهذا الكتاب-، وفي هذه الأجوبة الذكية المفحمة إنتاج موجه بشواهد وظروف هذا العصر وهذه الفترة بالتحديد -العصر العباسي الثاني- وخاصة في أواخره وبداية القرن الثالث الهجري، والذي نرى فيه شواهد فكرية، واجتماعية، وسياسية وغيرها ساهمت في إنتاج هذا الكتاب.

المبحث الأول: المشهد السياسي والفكري باعتبارهما موّجهين لنتاج ابن أبي عون:

1- السياق الخارجي:

بدأ العصر العباسي الثاني بخلافة المتوكل عام 232هـ، وانتهى بفتح "بني بويه" لبغداد سنة 334هـ، اتسم بضعف الخلافة وضياع هيبة الخلفاء وفساد شؤون الدولة وسبّب ذلك يرجع إلى ضعف هذه الدّولة الرّاجع إلى عدّة عوامل منها:«اعتماد العباسيين على الفرس والأتراك وجعلهم في المناصب المدنية والعسكرية دون العرب الذين كانوا مادة الإسلام وقوام الدولة العربية، فضعفت عصبيتهم وانحطت منزلتهم وانصرفت قلوبهم عن التأييد».[1] «كما ظهرت حركات متطرفة اتخذت المذهب الشيعي أساسا لها، كحركة "القرامطة"، و"الزنج"، والحشاشين"*[2] وغيرهم مما أدى إلى قيام معارك طاحنة أدّت إلى إجهاد الفريقين، وقد منح العباسيون الفرس أعلى المناصب في الدّولة فكان منهم الوزراء والقواد غير أن العباسيين نكبوهم نكبات متوالية فكان العداء شديدا بين الفرس والعرب مما أدّى لظهور تيار شعوبي رافقه تيار إلحاد وزندقة. واستبدل المعتصم"الخليفة العباسي" الفرس بالترك وكان ذلك تحولا خطيرا، وقد بلغ تغلغل الفرس في الدولة، وازداد نفوذهم حدا جعلهم يولون الخلفاء العباسيين

[1] هويدا الطريفي: **ملامح الحياة الاجتماعية في العصر العباسي من خلال شعر ابن الرومي**، رسالة مقدمة لنيل درجة ماجستير الآداب في اللغة العربية، أفريل 2009، ص2.

[2]* **القرامطة**: نسبة للدولة القرمطية نسبة إلى القرامطة الدولة الفاطمية وقامت إثر ثورة اجتماعية ضد الخلافة العباسية، وهم من الشيعة المتطرفين وأخذت طابعا دينيا، حيث عدّها بعض الباحثين من أوائل الثورات الاشتراكية في العالم. **الحشاشين**: حركة قادها الحسن بن صباح في شمال غرب العراق... وهددت هذه الحركة الحكام المسلمين في سوريا بل وحاولوا اغتيال صلاح الدين الأيوبي نفسه... وكانوا خطراً شديداً لأنهم آمنوا بالفكر الانتحاري الفدائي الذي بثه فيهم زعيمهم. **الزنوج**: امتدت لتضم العديد من المستعبدين والأحرار في مناطق عدة من الإمبراطورية الإسلامية، فكان الزنج قد ثاروا على المالكين وأسسوا حكومة لهم كان مقرها مدينة المختارة (جنوب البصرة)، وهددت الدولة العباسية حتى جندت كل إمكاناتها لتسحقها، فكانت أطول ثورات العصر العباسي وأخطرها.

ويعزلونهم كيفما شاءوا. ومنذ مقتل الخليفة "المتوكل" استولوا على المملكة، واستضعفوا الخلفاء فكان الخليفة في يدهم كالأسير، إن شاءوا أبقوه، وإن شاءوا خلعوه وإن شاءوا قتلوه، وظلّ فساد الترك يستشري في الدولة، إلى أن استولى "البويهيون"*[1] على الخلافة بعد خلع "المستكفي بالله"، ونهب دار الخلافة، وسمِل عينيه وزالت سلطة الترك من الحكم نهائيا، وانقسمت الدولة العباسية إلى دويلات. ولقد كان لتشجيع النزعات الشعوبية من قبل الحكام العباسيين دور بارز في فتح لون جديد من الحوار والجدل في المجتمع العباسي بين العناصر العربية والعناصر الفارسية، وساعد على ظهور العناصر المثقّفة والقادرة على الرأي، وقد استفاد الخلفاء من هذه العناصر في تصريف شؤون الدولة والمنادمة،[2] وبعد تولية الأتراك لمقاليد الدولة العباسية، وبعد تنصيب العديد من الخلفاء وإنزالهم إلى الذلّ والهوان لتنشأ بعد ذلك دولة الخراب والهلاك.

لقد عرف العصر العباسي فسيفساء الأعراق والمذاهب في الرقعة الجغرافية الواحدة، إذ تعدّدت العناصر الجنسية في الدولة العباسية من أتراك وفرس وعرب وروم وزنج وغيرهم، وما تستلزم من عصبيات؛ وهذه العصبيات المذهبية والطائفية من تسنَّن وتشيَّع، ومن حنابلة وشافعية وحنفية، ومن مسلمين ويهود ونصارى...، كانت كلّها حركات تموج بها المملكة الإسلامية، تتعاون حينًا، وتتفاعل حينًا، وتؤثر في السياسة وفي الدّين وفي العلم، وتنشأ

[1] *البويهيون: (سلالة من الديلم) جنوب بحر الخزر،حكمت في غرب إيران والعراق سنوات، ينحدر بنو بويه من أعالي جبال الديلم ويرجعون في نسبهم إلى ملوك الساسانية. استمدوا اسمهم من أبو شجاع بويه، والذي لمع اسمه أثناء عهد الدولتين السامنية ثم الزيارية. واستطاع ثلاثة من أبنائه الاستيلاء على السلطة في العراق وفارس. ثم خلع عليهم الخليفة العباسي ألقاب السلطنة.

[2] السيد عبد الحليم محمد حسين: **السخرية في أدب الجاحظ**، ص 20-21.

عنها المؤامرات السرية أحيانًا؛ والقتال الصريح أحيانًا أخرى، وكلها كان لها الأثر الواضح في النواحي الاجتماعية:

– فقد أثّرت في الحالة المالية إما مباشرة وإما عن طريق الحكم والسياسة، فعمرت في ناحية وخربت في أخرى، وعدلت في ناحية وظلمت في أخرى، نشأ عن هذه الحالة الاجتماعية مظاهر متعددة: ترف لا حد له في بيوت الخلفاءّ والأمراء وذوي المناصب، «إذ كان الخلفاء والوزراء والولاة والقواد يغدقون على العلماء والأطباء والشعراء والمغنيين»،[1] الأموال الفضل الكبير في الاهتمام بالنهضة بالعلوم والآداب والفنون، ومن جهة أخرى فقر لا حدّ له في عامة الشعب والعلماء والأدباء الذين لم يتصلوا بالأغنياء، ثم المظاهر التي تنتج عادةً من الإفراط في الترف كالتّفنن في اللّذائذ والاستهتار وفساد النفس، وكل العوامل التي تترتب عن الفقر كالحقد والحسد والكذب والخبث والخديعة. وكان من أثر هذا الفقر أيضا انتشار نزعة التصوّف، فالفشل في الحياة قد يُسلم صاحبه إلى الزهد، وإقناع النفس بأن نعيم الدنيا زائل، وإذا حِرم الدنيا فليطلب الآخرة.

–وأثَّرت في اللغة والأدب بصورة كبيرة وذلك كما ذكرنا سابقا، إذ وفي هذه الحالة نقول بفضل دخول الأعاجم يتكلمون بلغاتهم، ويتعلمون اللغة العربية ويحملونها أفكارهم وآدابهم، فتولد مزيج من الآداب المتنوعة ضمن قالب واحد.

– وأثَّرت في الدين من كثرة الجدل بين الفقهاء، ومن إثارة مسائل يدعو إليها هذا الجدل لم

[1] ينظر: أحمد أمين: **صدر الإسلام**، ج1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م، ص74.

و ثائر سمير حسن الشمري: **الأدب العربي في العصر العباسي**، ص9.

تكن معروفة من قبل، ومن تدخل السياسة في الأمور الدينية والالتجاء إلى الفقهاء يسألونهم الحلول الفقهية فيما يعرض لهم من مشاكل سياسية واجتماعية، وبما أثاره النزاع الشديد بين السنية والشيعة، «وظلّ هذا الأخير فرقا نشيطة في هذا العصر وأهمها فرقة "الزيدية" التي حملت السلاح دائما في وجوه العباسيين، ثم فرقة "الإمامة" التي كانت تعي على التقية وتعمل سرا ضد العباسيين»،[1] ولأن شغلت علوم الدين واللغة علماء المسلمين في القرن الأول الهجري والقرن الثاني الهجري فإن القرن الثالث هو بداية توسع المسلمين في بقية علوم الدنيا بجانب علوم الدين بعد أن رسخت عقيدة الإسلام في أذهان وعقول المسلمين.

– وأثّرت في العلم بما كان يحمله النصارى واليهود والفرس والهنود من علوم آبائهم، وجدهم في تقديم هذه الذخائر إلى الأمة الإسلامية باللغة العربية، مما مكن الناطقين باللسان العربي أن يأخذ كل منهم حظه منها، ويهضمه ما استطاع ويزيد عليه ما استطاع، وتتعاون على الاستفادة منها وترقيتها العقول العربية والتركية والفارسية والرومية والهندية، إذ تخطت هذه التشكيلة كل الظروف لتؤلف بينها العلم بعد أن فرقت بينها العصبيات الجنسية والمذهبية فيأخذ اليهودي والنصراني من العالم المسلم، ويأخذ المسلم من العالم اليهودي والنصراني، ويجلس الفارسي والتركي والهندي في حلقة العربي، ويتعاون الجميع في بناء الدولة العلمية غير آبهين بما كان من الساسة في تهديم الدولة من ناحيتها السياسية.كل هذا وأمثاله كان من آثار هذه الحركات المختلفة.[2] ويقول "العقّاد" عن القرن الثالث الهجري:« وكانت الدولة

[1] د. شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني**، ط12، دار المعارف، ص33.

[2] ينظر: شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني**، ص74–75.

في إبانه أشبه بالمرج الأخضر الذي ينمو فيه الحب والفاكهة والشوك والعشب المسموم. خضرة زاهية فيها الغذاء والسم يختلطان اختلاطاً لا سبيل فيه إلى التنقية والتمييز، وفي ذلك العهد بلغ التنكيل والتبشيع في بعض حوادث الفتك مبلغاً لا حرمة معها لا شرع ولا دين ولا مروءة. هذه صورة للحياة الاجتماعية في العهد العباسي الذي فرض نفسه على التاريخ فسجل له النصر والبقاء».[1] كما أنّ هذا العصر أزهى العصور الفكرية والعلمية لتلقيه للثقافة الإسلامية الكاملة،إذ ازدهرت الحياة الفكرية في العصر العباسي الثاني ازدهاراً كبيراً، فقد تلاقت في الحواضر الإسلامية شتّى الثقافات التي تمثل الأمم وآثارها في العلم والثقافة. وكانت الدولة مزيجاً من شعوب كثيرة وكانت عقلية هذا الشعب الجديد يتجلى عليها أثر الثقافات والوراثات. وقد كان لامتزاج العنصر العربي بالعناصر الأجنبية الأخرى تأثير في الحياة العقلية والثقافية، لأن لكل عنصر من هذه العناصر عاداته وتقاليده وأفكاره وآدابه التي تميّزه عن الآخر، ولأنّ مزج الثقافات المختلفة مع بعضها البعض يؤدي إلى خلق بيئة تتمتع بقدر كبير من الخصائص والمميزات المختلفة، وقد كانت الدولة العباسية وبخاصة في العصر العباسي الثاني مؤمنة إيماناً تاماً بالروح العلمية والحرية الفكرية.[2]يقول "أحمد أمين":«أرى أن العلم والأدب رقيا عما كانا عليه قبل، وأنه لم يؤثر فيهما كثيرا ضعف خلفاء بغداد؛ ذلك أن حركة الترجمة التي نقلت ذخائر الأمم المختلفة وخصوصا الأمة اليونانية، وضعت أمام أعين المسلمين ثروة علمية هائلة باللسان العربي، فكانت الخطوة الثانية أن

[1] هويدا الطريفي: **ملامح الحياة الاجتماعية من خلال شعر ابن الرومي**، ص15.

[2] د.ناصر عبد الله أبو كرووق: **العصر العباسي بين المحاسن والمساوئ،وعظات التاريخ**، مجلة الآداب، العدد3 جامعة إفريقيا العالمية، كلية الآداب، ص16.

تتوجه إليها الأفكار العربية تفهمها وتشرحها وتهضمها وتبتكر فيها وتزيد عليها؛ وهذا ما فعله عصرنا هذا. ومن جهة أخرى كان وضع السلطة كلها في يد الخليفة يجعل من بغداد المركز العلمي الوحيد، أو على الأقل المركز العلمي والأدبي الهام، وما عداه فاتر ضعيف؛ فكان من تفوق في علم أو أدب فلا أمل في شهرته ونبوغه، وذيوع صيته وثروته، إلا إذا رحل إلى بغداد وتقرب بعلمه وأدبه إلى خلفائها وأمرائها».[1] كما أنّ هذا العصر لم يكن عصرا ديمقراطيا، بل كان عصرا أستقراطيا لا ينعم فيه إلا الأستقراطيون والفئة التي قبلها هذا الأخير أن تنتظم إلى موائدها، إذ أن الفنّ آنذاك اُحتكر داخل جدران الخلفاء والأمراء، واستقى الشعر والنثر والفن بلون الاستجداء.

أما العلماء كانوا قسمين: «قسم يتصل بالخلفاء والأمراء أو يشتغلون في مناصب الدولة كالخطابة والقضاء، وهؤلاء ميسورون نسبيّا؛ ولذلك نرى كثيرا من تآليف العلماءً إنما ألفت بأمر من وزير أو أمير أو نحوه، وصدره باسمه، ونَوهُ فيه بذكره. وأما من بعدوا عن القصور فكانوا فقراء غالبًا لا يكادون يجدون ما يسد رمقهم».[2]وانقسمت العلوم إلى قسمين:«القسم الأول: يشمل العلوم الإسلامية من شرعية وسياسية. والقسم الثاني: يشمل العلوم الدخيلة من فلسفة وطبيعية ورياضية وغيرها».[3] «أما العلوم الشرعية: في تفسير القرآن وجمع الحديث واستنباط أحكام الدين والتدليل على العقائد الدينية. ونَمَا تفسير القرآن والاهتمام بالسنة النبوية في هذا العصر نمواً واسعاً بحيث ظهرت فيه اتجاهات أربعة هي: اتجاه التفسير بالمأثور،

[1] د.ناصر عبد الله أبو كرووق: **العصر العباسي بين المحاسن والمساوئ،وعظات التاريخ**، ص84.

[2] أحمد أمين: **صدر الإسلام**، ج1، ص103.

[3] هويدا الطريفي: **ملامح الحياة الاجتماعية من خلال شعر ابن الرومي**، ص16-17.

والتفسير بالرأي، والتفسير الاعتزالي أو التفسير الشيعي، والتفسير الصوفي. أما التفسير بالمأثور فقد بلغ القمة المرجوة التي كانت تنتظره عند محمد بن جرير الطبري».[1] ومن علماء الحديث نذكر أشهرهم «الإمام البخاري والإمام مسلم رضي الله عنهما، وأيضاً من علماء السنة في هذا العصر: "حجة الإسلام" وهو الإمام أبو زكريا يحي بن معين البغدادي ومن علماء الفقه صاحب "الإمام الشافعي" وأبو "يعقوب يوسف" و"خالد بن خراش المهلبي" البصري صاحب علوم الحديث. أما العلوم اللسانية كالنحو والصرف: فقد كان هذا العصر عصر عناية بها، فظهر كتاب سيبويه في النحو على مذهب البصريين، وشرحه تلميذه الأخفش، كما ظهر كتاب الحدود للفراء في النحو على مذهب الكوفيين، ومن علماء النحو نفطويه الذي كان يدرس النحو بجامع المنصور خمسين سنة».[2]

ولقد كانت مصادر الثقافة الأدبية في هذا العصر كثيرة متعددة من أهمها:[3]

1- القرآن الكريم، والحديث والكتب المؤلفة حولهما، مما يتصل بالأدب والدين: كمجاز القرآن "لأبي عبيدة" وإعجاز القرآن للجاحظ والمجاز لمحمد بن يزيد الواسطى.

2- خطب الخطباء وحكم الحكماء ورسائل الأدباء.

3- كتب التاريخ التي جمعها أو ألفها المؤرخون في هذا العصر والذي سبقه، "كابن اسحاق" و"ابن هشام والبلاذرى واليعقوبي والطبري وسواهم.

---

[1] شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني**، ص161.

[2] شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني** ، ص17.

[3] ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي: **ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان**، دار الجيل، بيروت ،1991م، ص42،41.

4- كتب السياسة التي تأثّرت بآثار الفرس أو كانت مترجمة من ثقافتهم ومنها: كليلة ودمنة والأدب الصغير والأدب الكبير والدرة اليتيمة ورسالة الصحابة لابن المقفع.

5- كتب الأدب الجامعة، كالبيان وعيون الأخبار والكامل.

6- كتب البيان والنقد والكتابة، ومنها كتاب الفصاحة للجستاني، وكتاب البلاغة للمبرد، وأدب الكتاب للصولي.

7- كتب الشعر، ومنها مجموعات في أشعار القبائل والأفراد، ومنها المفضليات وحماسة أبي تمام وحماسة البحتري ودواوين الشعراء والكتب المؤلفة في طبقاتهم وسواها من مئات المصادر في الأدب والشعر.

أمّا الأدب فقد امتاز بظهور الحياة العقلية فيه وبصدق تمثيله للحياة الاجتماعية. وبكثرة الحِكم وأخبار الزهاد فيه، وبتأليف الكتب الجامعة في الأدب كالبيان والتبيين وعيون الأخبار والكامل والعقد، وبأنّ الأدب أصبح في هذا العصر صناعة علمية في الإنشاء والتأليف، وأظهر ما يتجلى فيه من إبداع التصوير واتساع الخيال بالمبالغة الشديدة والإكثار من الحكمة والمثل والبراهين العقلية. كما أصاب الأدب الكساد وانصرف الناس إلى الفلسفة وعلومها مما يبسطه "ابن قتيبة" في مقدمة أدب الكاتب بوضوح.[1] كما ظهرت في هذا العصر الترجمة، «وهي امتداد لأيام المأمون أحد خلفاء العصر العباسي الأول، والذي اعتنى بها عناية عظيمة (...) ومن عنايته بالترجمة وسلامتها من الأغلاط العلمية واللغوية

[1] د.محمد عبد المنعم خفاجي: **ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان**، ص32.

أنشأ ببغداد مدرسة الترجمة ليتعلم فيها أبناء العرب اللغات المختلفة حتى يجيدوا النقل عنها»،[1]ويقول "شوقي ضيف" في ذلك:«التاريخ يرينا أنّ الحالة العلمية لا تتبع الحالة السياسية ضعفا وقوة؛ فقد تسوء الحالة السياسية إلى حد ما وتزهر بجانبها الحياة العلمية؛ ذلك لأن الحياة السياسية إنّما تحسن بتحقيق العدل ونشر الطمأنينة بين الناس، ومع هذا فقد يحمل الظلم كثيرا من عظماء الرجال وذوي العقول الراجحة أن يفروا من العمل السياسي إلى العمل العلمي؛ لأنهم يجدون أنّ العمل السياسي يعرضهم لمصادرة أموالهم، وأحيانًا إلى إزهاق أرواحهم، على حين أن العمل العلمي يحيطهم بجو خاص هادئ مطْمئن، ولو كان الجو العام مائجا مضطربًا، وكذلك كان الحال في تاريخ كثير من العلماء المسلمين، جربوا الوزارة وولاية الأعمال فتعرضوا للخطر فهربوا إلى العلم فنجحوا».[2]والخلاصة أن الحالة العلمية في أواخر القرن الثالث وفي القرن الرابع، «كانت أنضج منها في العصر الذي قبله: أخذ علماء هذا العصر ما نقله المترجمون قبلهم فشرحوه وهضموه، وأخذوا النظريات المبعثرة فرتبوها وورثوا ثروة من قبلهم في كل فرع من فروع العلم فاستغلوها».[3] كما أنّه من البديهي أنه من الصعب الإحاطة بموضوع العلم والعلماء ولكن يكفي القول أن النهضة العلمية في هذا العصر كانت كمية ونوعية حيث ظهر مئات بل ربما آلاف العلماء العاملين في علوم الدين بكل فروعه وعلوم اللغة بكل فروعها وكان وجودهم لا شك بلسما شافيا لذلك المجتمع من كل أمراضه وبهم اقتدت الأمة فهم خلفاء المصطفى –عليه الصلاة والسلام– الذين

[1] هويدا الطريفي: **ملامح الحياة الاجتماعية من خلال شعر ابن الرومي**، ص18.

[2] شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني**، ص85.

[3] أحمد أمين: **صدر الإسلام** ،ج1 ، ص 86.

ساروا على نهجه ودربه فإن كان عالما واحدا يمكن أن يضيء كالبدر في حالك الظلام فما بالك بمئات العلماء العاملين أمثال: السيوطي، البخاري ومسلم وأبو داود والترميذي وابن ماجة وابن قتيبة وغيرهم.[1]

فكلّ هذه الشواهد وغيرها كان لها الفضل في إنتاج الثراء المعرفي من علوم وفنون والأدب، كل بأنواعه. وهذا الأخير كان له الفضل الكبير في تطور الجسر المعرفي لهذا العصر مما غيّر في العديد من الظروف الحياتية للإنسان العباسي، فخلّفت ثورة لم يلحظ لها التاريخ بمثلها.

إنّ الفضل الكبير لنتاج إبراهيم بن أبي عون الفكري والعلمي يعود إلى الأعمال التي وليّها ابن أبي عون واتصالاته بمن عاصره من أصحاب الأسماء المشهورة في تلك الحقبة، تلقى بالضوء على مركزه السياسي والاجتماعي، وهم:

1-الخلفاء: المتوكل ثم المنتصر وبعده المستعين والمعتز والمعتمد والموفق.

2-كان والده كاتبا وحاجبا لأمير بغداد "محمد بن عبد الله بن طاهر"، ودائم التردد على مجلسه ومنادمته. وهذا الأمر هيأ لابنه "إبراهيم" بأن يكون قائدا تحت امرة "ابن ثوابة" ثمّ تحت امرة "المحسن بن الفرات".

3-كان متصلا بوزير المعتمد "الحسن بن فحل".

4-كان متصلا بالفضل بن مروان الذي وزر المعتصم.

[1] ينظر: د. الناصر عبد الله أبو كروووق: **العصر العباسي بين المحاسن والمساوئ وعظات التاريخ**، ص155.

5-وكان له الاتصال بمشاهير الشعراء في عصره، وبصورة خاصة، البحتري وابن الرومي.

6-اتصاله باللغويين والنحاة ممن ذاع صيتهم آنذاك منهم: المبرد، أحمد بن يحي، واليزيدي وغيرهم.

لقد عاش ابن أبي عون الكاتب والحاجب والقائد ونديم الخلفاء والوزراء وأمّن لابنه وسائل التعليم، وسبل الثقافة التي كانت متوفرة لأبناء أمثاله في هذه الطبقة. وبالتالي فإن إبراهيم قد ترعرع واشتد عوده "بالبصرة" موطن العلم والأدب المنافس "لبغداد" و"الكوفة"، ثم انتقل مرة أخرى إلى بغداد بعد أن بلغ الصبا حيث موطن الخلافة وموئل العلم والعلماء، ومن هناك انتقل ليتقلّد المناصب الإدارية والقيادية في جهاز الدولة فيما بعد، هنا إلى جانب تنوعه الثقافي بتنوع المصادر التي تلقى عنها هذه الثقافة وتلوّنت بحيث شملت ميادين عدة في العلم والمعرفة، إلى جانب اغترافه من معين الثقافة الدينية شيئا كثيرا والمتجلية في أخبار الزهاد وأجوبتهم في "الأجوبة المسكتة" وما أورده في باب الجوابات الجديّة من أجوبة ذات علاقة واضحة بالسلوك والعقائد، مما يؤكد على اتساع ثقافة إبراهيم الدينية.*[1]

ومنه؛ نشير إلى أن هناك مؤشرات كان لها -بلا شك- تأثير واضح المعالم في شخصية الكاتب هي:

[1] * تجدر الإشارة إلى أنّ **إبراهيم بن أبي عون** لم يكن رجل دين، بل كان رجل سياسة، وهذا ما يتّضح من خلال ما استعرضناه من أمر إبراهيم مع من اتّصل بهم ممن عاصروه من أرباب السياسة آنذاك، وهذا ينفي السبب الحقيقي المعلن عن قتله، والمتمثل في حذوه حذو "الحلاج" في اعتقاده بالحلول، وهذا الأخير-قتله- لا يعتمد على مصدر واحد مباشر يمكن أن يأخذ منه المرء أسس هذا المذهب، إلاّ قلة قليلة التي اعتمدت أساسا على تاريخ "ابن الأثير" في شرحه لمذهب الشّلمغاني". والسبب الأقرب في مقتله أن يكون بن أبي عون قد أخذ مع من سخط عليهم الخليفة من الوزراء الذين اشتدّ بينهم التّنافس والتّنافس على المراكز السياسية عام (322هـ)،- ويبقى السبب الرئيسي لمقتله يكتنفه الغموض، وغدت شيئا يحرم الحديث فيه. أمّا بالنسبة لتاريخ ميلاده بقيّ مجهولا. ينظر: إبراهيم بن أبي عون: الأجوبة المسكتة، مقدمة التح، ص35-36-37.

1-مؤشرات وراثية، أي الخصائص المشتركة بين أفراد آل أبي عون.

2- مؤثرات مكتسبة وهي النتيجة الحتمية لبيئته ومخالطيه وطبيعة الأعمال التي زاولها.

لقد كان "إبراهيم بن أبي عون" – بلا شك- شخصية قوية متسلطة ويبدو العامل الوراثي في هذه الصفة واضحا، فقد كان والده حاجبا لمحمد بن عبد الله بن طاهر، وقائدا عنيفا تحت امرته، ومن ثمّ قائدا تحت امرة مباشرة من المعتز بالله، وقد كان إبراهيم بدوره قائدا تحت امرة ابن ثوابة ثم تحت امرة المحسن بن الفرات، ولقد انعكست صفة الحزم هذه والتسلط في أدبه. فالعنوان "الأجوبة المسكتة" ينّم عن قوة شخصية صاحبه وتسلطه وميله إلى الافحام عن طريق الجواب المسكت والذكي، ورغم ما تكتسيه شخصية إبراهيم التسلطية والحازمة إلاّ أنها لم تخلُ من الفكاهة والدعابة. كما سنولي الأهمية للمؤلفات التي تمخّضت من فيفساء التوجهات لابن أبي عون نذكرها:

1- في مجال الإدارة والتنظيم: كتاب بيت مال السرور، كتاب الدواوين، الرسائل، والنواحي والبلدان حيث ينسب هذا الكتاب إلى جده "ابن أبي النجم".

2- في مجال الأدب: كتاب التشبيهات: وهو كتاب اختار فيه نماذج شعرية بعينها تتميز بالتشبيه الجميل والصور النادرة، وكتاب الأجوبة المسكتة والذي هو عبارة عن مجموعة ضخمة من الجوابات المسكتة الذكية (1493 جواباً) صنفها في تسعة أبواب. وكتاب مثل الشهاب.

كما أن الأعمال الأدبية في هذا النوع، إنّما ألّفت لهدف تعليمي، إذ أنّ معظم المؤلفين الذين لمعت أسماؤهم في هذا القرن كانوا إمّا ندماء للخلفاء، ومن لفّ لفّهم من الطبقة الاستقراطية،

أو مؤدبين لأبنائهم، أو كانوا في خدمة هذه الطبقة ككتّاب دولة، لذلك كان هدفهم في أكثر الأحيان تعليميا.[1]

نستخلص من ذلك أن أعمال القرن الثالث الهجري، باستثناء بعض كتب الجاحظ البخلاء قبلا، وبعض أبواب الأجوبة المسكتة التي هي نتاج المجالس الأدبية للخلفاء والأمراء ومن في دائرتهم، حيث كان يدور في تلك المجالس نقاشات أدبية ومحاورات كلامية ونوادر، مما يعكس طرائق تفكيرهم وسلوكهم، لذا يمكن أن نقول أن هذا النوع من الأدب بأسلوبه الراقي هو أدب الطبقات الراقية، وبذلك أصبح يطلق عليه "أدب المجالس"، وبما أنّ معظم مؤلّفي هذا القرن كانوا ممن يدور في فلك هذه الطبقات، فلابدّ أن أدبهم كان كذلك مرآة تعكس بصدق هذه المجالس.

2-البنية الشكليّة لكتاب الأجوبة المسكتة:

كتاب: "لبّ اللباب في جوابات ذوي الألباب"، هو الاسم الأول لهذا الكتاب -الأجوبة المسكتة-، وهو عبارة عن مجموعة من القصص الإخباري، يعتبر نتاج بيئة صنعت هذا الأديب – إبراهيم بن أبي عون- فأمدّته بالأسباب التي جعلته قادرا على أن يبدع في عمله من جهة، و يطوره من جهة أخرى. والأجوبة المسكتة هي:« تلك الحكايات القصيرة والأسمار الكثيرة والنوادر الطريفة والأخبار المشتتة الألوان متشعبة الأهداف، متعددة الأغراض. جمالها في ظرفها وخفة روايتها وأدبها وفي رشاقة أسلوبها ونصاعة لغتها».[2]إذ أنّ

[1] ينظر: إبراهيم بن أبي عون: **الأجوبة المسكتة**، مقدمة التح، ص41.

[2] المصدر نفسه، ص38.

هذا الكتاب هو أيضا صورة من صور هذا العصر بما يتميز به، لما يحوي أشياء من كل شيء. وهو مجموعة من الجوابات المسكتة الذّكية وهي: (1394 جوابا) جاءت في تسعة أبواب: من الجوابات الجدية، جزء من جوابات الفلاسفة والحكماء، من مثال اليونانيين، من جوابات الزهاد، من جوابات المتكلمين، من أجوبة الأعراب، من أجوبة النساء، من جوابات المدنيين والمخنثين. من الجوابات الهزلية.

إنّ إبراهيم ابن أبي قد سار على نهج سابقيه في تأليفه للكتاب، وربما أخذ عنهم، وقد وصف "الجاحظ" هذا النهج من خلال وصفه للكتاب، قائلا: "**الكتاب وعاء ملئ علما، وظرف حشا ظرفا، وإناء شحن مزاحا وجدا، إن شئت ضحكت من نوادره، وإن شئت عجبت من فوائده، وإن شئت ألهتك طرائقه**"، ويبدو من هذا الوصف، أنّ الكتاب الذي يكون أكثر رواجا بين قراء القرن الثالث الهجري هو الكتاب الذي يحتوي شيئا من كل شيء، أي: من الشعر والأخبار والنوادر وما إلى ذلك. حتى أصبحت هذه الأمور من المعالم الأساسية للأدب في هذا القرن وما تلاه من القرون كذلك. فهل يعني أن عمل ابن عون في هذا الكتاب، قد اقتصر على جمع مادة كتابه، بأن سطا على كتب الأقدمين، أو على سمعه من الرواة، فسجل ما سمع وقرأ من أخبار وأقوال ونوادر؟ بمعنى أنه لم يبدع مؤلفا؟ الجواب هو: لا، ولهذا الجواب تعليل في أنّه ولا شك أن مؤلفي مثل هذه الأعمال من المجموعات والمصنفات في العصر الوسيط، وخاصة القرن الثالث الهجري، قد اختاروا مادتهم أو معظمها من مصادر عدة مكتوبة أو مسموعة، ثم قاموا بعد ذلك بمعالجة هذه المادة تنسيقا وتنظيما، بحيث تتفق والنسق الثقافي الذي تبنوه، فمن هؤلاء من وجّه مادته توجيها دينيا

وعظيا، مثل "ابن أبي الدنيا". ومنهم من وجّه مادته توجيها أدبيا لغويا، مثل "المبرد". ومنهم من طرق موضوعات عدّة: سياسية واجتماعية وإخبارية عامة، مثل "الجاحظ" و"ابن قتيبة".

إنّ هذه الكثرة من مؤلفات العصر الوسيط التي تعتمد على طريقة التصنيف الموسوعي في التأليف،لا يمكن أن يكون أصحابها قد قصدوا مادتهم التي اختاروها قصدا عشوائيا، أو أن يكونوا مجرد مصنفين للمادة التي جمعوها، ذلك لأنّ اختيار المادة ثم تنظيمها وتنسيقها بحد ذاته تأليف، خصوصا إذا تخلّلها تعليق من المصنف أو إعادة صياغة، بحيث تتفق هذه المادة المختارة السيّاق العام لصاحب الكتاب. وبالتالي قد لا ندّعي إذا قلنا: إنّ عملية الاختيار وما يتبعها من تنظيم وتوجيه للمادة تختلف من شخص لآخر، لأنّ معالجة المادة تعكس شخصية صاحبها وتميزه عن غيره حتى لو اتفق مع الآخرين في المادة المختارة. كما نتساءل، لماذا لم يكتب مؤلف العصر الوسيط عن عواطفه الخاصة، أي من مواقفه وتأملاته الذاتية؟ ألم يكن بين هؤلاء من يستطيع ذلك؟ بلى، لكن ألّف كتبه ومصنفاته ضمن أطر ثقافية واجتماعية كان من الصعب عليه تجاوزها، لذلك يكون لزاماً علينا أن نحكم على مثل هذه المؤلفات بمقاييس عصر المؤلف، لا بمقاييس عصرنا نحن.[1] كما أنّ نشأة المؤلف في محيطه جعلته أسيرا له، فقد ألّف فيما كان يميل إليه جمهور القرّاء من أخبار ونوادر، فلم يكن المؤلف حرّ التصرف، بل كان خاضعا بتقليد العصر الذي عايشه. فكان هذا النوع في التأليف والكتابة صاحبة الرقم القياسي في الرّواج بين الناس، ففي هذا المعنى: سأل الجاحظ الأخفش:«**لماذا لا تشرح كتبك؟ قَال: أنا لم أضع كتبي لله وللدّين، ولو وضعتها حيث**

[1] ينظر: إبراهيم بن أبي عون: **الأجوبة المسكتة**، مقدمة التح، ص39.

أحببت لقلت حاجة الناس إليّ». وتساءل مرّة أخرى، لماذا لم يبدع المؤلف آنذاك مادة جديدة؟ ولماذا تناول موضوعات ومواد سبقت معالجتها؟ فنقول أنّ تناول هكذا مواضيع كان ظاهرة عامة في مؤلفات القرن الثالث الهجري، وكذلك فيما تلاه من القرون، وفق أسباب متعددة، كون الكتب السابقة لم تكن مبوّبة أو منسّقة، أو ربّما كانت مواردها مختلطة بما لم يكن له علاقة بالموضوع، لذا تناولها المؤلفون المتأخرون بالمعالجة مرة أخرى، لكن بشكل جديد يعتمد على التّبويب والتنسيق. وهذا ما كان من أمر "إبراهيم بن أبي عون" في "الأجوبة المسكتة"، حيث يقول:«... **وجعلت ذلك أبوابا، لئلا يختلط الجد فيه بالهزل، والواعظ بالمضحك، والركين بالركيك**».[1] وتنعكس شخصيّة إبراهيم من خلال هذا الكتاب في:

- أنّ العنوان ينمّ عن قوة شخصية صاحبه وتسلطه وميله إلى الإفحام عن طريق الجواب المسكت والذكي.
- كما تتردد كلمات ذات المسحة الحربية وتتجلى في العديد من الكلمات كقوله في مقدمته:« **لعمري لقد استحسنت ما يفضل به أهل البلاغة ويسبق إلى البديهية به أهل الذكاء والفطنة وقرب المأخذ في الاحتجاج على الخصم وإيقاع الجواب على المبتدئ بالسؤال وإفحام المشاغب عن معارضه بالحجاج، وخاصة إذا طبق الجواب المعنى وأغنى عن الإعادة، كان الابتداء والجواب كالمثاقفة بالآلة والحمل في المعركة**». فقد استعمل ألفاظاً تكشف عن دراية كاملة بأدوات الحرب وإدارتها، وذلك راجع إلى المنصب الذي يحكمه في كونه قائدا تحت إمرة "ابن

[1] ينظر: إبراهيم بن أبي عون: **الأجوبة المسكتة**، مقدمة التح، ص40.

ثوابة" ثم تحت امرة "المحسن بن الفرات" وهذا المنصب جعل من شخصيته القوية المتسلطة وصفة الحزم تنعكس في أدبه.[1]

- تعليقاته التي تظهر في ربطه لبعض الوحدات بأبيات الشعر لأنّها تتفق معها في الفكرة والمغزى.
- تنعكس شخصية بن أبي عون –كذلك– فيما اختاره من مواصفات رجل السياسة التي تتميّز بالحزم والحلم والدهاء، وهذا ما صدر به باب من الجوابات الجدية.

الذكاء المتميز، ويظهر في:

* طريقة تصنيفه لكتابه "الأجوبة المسكتة".وتأليفه في موضوعات متنوّعة.

* قوة ذاكرته، التي تظهر في خلو كتابه من تكرار الأخبار والنوادر، مما لم تخل منه كتب كثيرة ممن سبقه وعاصره من المؤلفين، لذا فإنّ هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من القصص الإخباري وهي تلك الحكايات القصيرة والأسمار الكثيرة والنوادر الطريفة والأخبار المشتتة الألوان، متشبعة الأهداف، متعددة الأغراض جمالها في ظرفها وخفّة روايتها وأدبها وفي رشاقة أسلوبها ونصاعة لغتها.

ومع غلبة صفة الحزم عليه، وما قيل عنه من حب القسوة والتسلط، فإنه لم يخل من ميله إلى الدعابة والهزل...، فقد جعل باباً بعنوان (الجوابات الهزلية) بالإضافة إلى ما تخلل الأبواب الأخرى من جوابات ذات مسحة هزلية في بعض الأحيان. كما تجدر الإشارة بالذكر إلى أنّ الميل إلى الدعابة والهزل متوارث في عائلة "ابن أبي عون". بالرغم بما اتصفت به

[1] إبراهيم بن أبي عون: **الأجوبة المسكت**ة، مقدمة التح، ص24.

شخصيته من حزم وقوة وتسلط، فإنها لم تخل من الفكاهة والدعابة ومن الرقة والشفافية.

وعند دراستنا "للأجوبة المسكتة"، نلاحظ أن كل جواب من الأجوبة الواردة في هذا الكتاب يحتوي على معلومة تفيد خبرا، إذ لا يغيّر من صفته هذه وروده في فصل "الجوابات الجدية" أو في فصل "الجوابات الهزلية"، ومثل هذه الأمثلة في الكتاب كثيرة وكلها تحمل إشارات إخبارية، منها ما هو صريح وواضح، ومنها ما يشير إشارة بحيث يفهمه المرء من لفظة ترد في الكلام.[1]

لذا يمكن أن نطلق على وحدات كتاب "الأجوبة المسكتة" مصطلح "القصص الإخباري البسيط"، طالما أن كل وحدة فيه تشير إلى حادثة معينة، وبما أنّ المؤلف نفسه قد صنّف الأجوبة في كتابه هذا في أبواب، بحيث حدّد في كل باب نوع كل مجموعة، فمنها الجوابات الجدية، ومنها الهزلية، فإنه بالتالي يمكننا تصنيف القصص الإخباري في"الأجوبة المسكتة" إلى نوعين: القصص الإخباري الجاد، والقصص الإخباري المسلي (النادرة)، بحيث إنّ:

القصص الإخباري الجاد يضمّ:[2]

أ- القصص الإخباري التاريخي (السياسي).

ب- خبر ذو مضمون وعظي-حكمي.

جـ- القصص الإخباري الثقافي؛ وهو كل خبر يتضمن إشارة إلى ما له علاقة بالسلوك والعقيدة واللغة والأدب.

---

[1] ينظر: إبراهيم بن أبي عون: **الأجوبة المسكتة**، مقدمة التح، ص41.

[2] المصدر نفسه، ص46.

أمّا القصص الإخباري المسلّي: يتعلق الأمر بالوحدة "النادرة"، والوحدة السرديّة القصيرة المضحكة ومنه:[1]

أ – النادرة التاريخية أو السياسية.

ب – النادرة الاجتماعية.

ح– ظاهرة الشذوذ الجنسي

ج– نوادر دينية عقائدية.

د– نوادر نحوية

وفي هذا الكتاب نحاول أن نترصد ما يلي:

–أنّ المؤلف قد أورد فيه عددا لا بأس به من نوادر القرنين الأول والثاني الهجريين مما كان يروى مشافهة، أو مما كان في كتب فقدت ولم يعثر عليها.*[2]

–إنّ مواد هذا الكتاب تتضمن وبشكل غير مباشر مواد ذات قيمة اجتماعية، حيث تطرق إلى موضوعات كانت محط اهتمام الناس، متعلقة ببعض العادات التي كانت تثير ضحك الناس إلى جانب الإشارات لبعض الحوادث السياسية بأسلوب هزلي.

[1] إبراهيم بن أبي عون: **الأجوبة المسكتة**، ص55.

[2]* لقد اعتمد ابن أبي عون على مصدر آخر إلى جانب كتاب ابن إسحاق "نوادر الفلاسفة"، وهو كتاب "أقوال الفلاسفة" "لأبي عون أحمد بن أبي النجم" جد إبراهيم بن أبي عون. علما أنّ اهتمامه بهذا النوع من الأدب انعكاسا واضحا لظاهرة كانت ملحوظة في أدب القرن الثالث هجري، وهي ظاهرة رواج الفلسفة اليونانية، بحيث أصبحت أكثر المواد شعبية لطبيعتها الإنسانية والأخلاقية ولأنها تتعامل مع ظواهر التفكير والسلوك الإنساني. ينظر: ابن أبي عون: الأجوبة المسكتة، مقدمة التح، ص65.

– تميّز بها هذا الكتاب وهي: الخاصيّة الأسلوبية، والمتمثلة في الإيجاز الشديد وعنصر المفاجأة في النكتة، والبساطة في اللغة والسذاجة في الموضوع.[1]

بعد قراءتنا لكتاب الأجوبة المسكتة"، –وانطلاقا من شخصية مؤلفها– تعدّدت مشارب علمه في شتى الميادين العلميّة، بتردده إلى المجالس العلمية المختلفة، وتنقّله بين المدن التي كانت تعتبر من الإشاعات الفكرية كالبصرة والكوفة وبغداد، إضافة إلى المراكز والمناصب التي تبوأها، والتي استطاع من خلالها مجالسة العلماء والفقهاء عند الأمراء، فكانت رافعة علمية صقلت موهبته وزادت من اغترافه من معين العلوم المختلفة دون أن ننسى العامل الوراثي، حيث كان الأب والجد من العلماء والشعراء، فكل هاتِه العوامل جعلت من كاتبنا – إبراهيم بن أبي عون– قامة علميّة تجلّت في كتابه "الأجوبة المسكتة"، والتي أبرز من خلاله الحالة السياسية والاجتماعية لعصره، حاملة للطابع التوجيهي والتعليمي والأخلاقي، فكان يوصل فكرته بإيجاز شديد، كما تخلل عنصر المفاجأة في النكتة مع البساطة في اللغة والسذاجة في الموضوع، وفي الوقت نفسه تنم عن ثقافة وإلمام واسعين.

فمن خلال ما سبق، سنحاول ترصّد أهم المقاصد التداولية من خلال خطاباته الساخرة، التي ارتأينا فيها ما يناسب والحصيلة المعرفية التي يكتسبها القارئ من خلال هذا الكتاب، فتزيد من فهمه لها والغوص في مكامنها، فيكون بذلك الأثر الإنساني والتعليمي والتوجيهي والأخلاقي، أكثر تأثيرا وأقربه للفهم.

[1] إبراهيم بن أبي عون: **الأجوبة المسكتة**، مقدمة التح، ص80.

المبحث الثاني: السخرية وطريقة تجليها في الأجوبة المسكتة:

يعكس الأدب صورة الحياة وكل ما فيها من جمال وقبح، رضى ونفور، حلاوة ومرارة...، والمبدع هو الذي يحمل هذه المرآة بالطريقة التي تمليها عليه تلك المشاعر والأحاسيس التي تعتمل داخله، فتتولد لديه تفاعلات المدح كانت أم السخرية، فيمدح إذا رضي ويهجو ويسخر إذا غضب. «والسخرية ظاهرة إنسانية وجدت منذ الأزل، إذ تعتبر من أقدم المواهب الفطرية التي مارسها الفرد منذ حياته البدائية، وارتبطت بحياته اليومية بصورة كبيرة، لأنّها قد تكون ترويحا عن النّفس أو تسرية عن القلب، أو استنكارا لما يقع، أو هزءا وتندرا بالخصم»،[1] لمّا رأو في أنّ «الجدّ مبغضة والمزح محبة»،[2] فقد كشفت الدراسات والأبحاث الأثرية عن «وجود رسومات كاريكاتورية خلّفها الإنسان القديم على جدران الأهرامات المصرية وكذا في أرجاء المعابد القديمة»،[3] كما عرفتها أيضا الحضارات القديمة كالإغريقية والرومانية واليونانية وغيرها.

وفي محاولتنا للتطرق لمفهوم الأدب الساخر لابد أن ننظر أولا لمفهوم السخرية الصعب المفهوم، من جهة أنّ «السخرية فن، والفنون أعمال نابضة بالحياة، لا يمكن تعريفها والإحاطة بها ببعض ألفاظ قاصرة، إذ الفن حي متحرك والألفاظ مهما تكن جامدة ساكنة، ثم إنّ السخرية انفعال، ومن أصعب الأشياء محاولة تعريف الانفعالات أو وصفها، لذلك رأينا

---

[1] السيد عبد الحليم محمد حسين: **السخرية في أدب الجاحظ**، ص64.

[2] نزار عبد الله خليل: **السخرية والفكاهة في النثر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، جامعة مؤتة 2005، ص11.

[3] شمسى واقف زادة: **الأدب الساخر أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية**، فصلية دراسات الأدب المعاصر، السنة الثالثة، العدد 12، ص104.

كثيرا من الباحثين الذين تصدوا لتعريف السخرية أو وصفها يصرحون بهذه الصعوبة»[1]، كما حللها "آدلر"، فقال «أنها مركبة من غرائز ثلاث: الغضب، والانتقام، والخضوع، ثم قال بعد هذا صادقا: ولست مقتنعا إلى اليوم بأي تعريف لها فيما قرأته إلى الآن»،[2] "فآدلر" «يرفض أي مفهوم للسخرية وتقييدها بمفاهيم قد تنتقص منها لكونها (أي السخرية) بمركباتها الثلاث، حية متحركة ذا انفعالات مركّبة غير ثابتة، ومن جهة أخرى أنّ ما لا تاريخ له هو الذي يمكن تعريفه، أما ما يملك تاريخا طويلا فإنّ تعريفه مسألة صعبة جدّا».[3]

2-1-مفهوم السخرية:

أ- لغة:

يعرف "ابن منظور" في **لسان العرب:** سخر ويسخرُ منه وبه سخرًا ، وسخرَا ومسخرَا سُخرا (بالضم)، وسُخْرَة وسِخْرِيا وسُخْرية: أي هزئ به، ويروي الأعشى في ذلك بقوله:

إنّي أتتني لا أسَرُ بها من علوَ، لا عجب منها، ولا سُخْر

قال تعالى:﴿لا يسخر قوم من قوم﴾ «الحجرات11»، وسخرت من فلان هي اللغة الفصيحة، وقال تعالى: ﴿فيسخرون منهم سخر الله منهم﴾ «التوبة 79» وقال ﴿إن تسخروا منّا فإنّا نسخر منكم كما تسخرون﴾ «هود 38».[4]

[1] شعيب بن أحمد بن محمد عبد الرحمان الغزالي: **أساليب السخرية في البلاغة العربية، دراسة تحليلية تطبيقية**، رسالة علمية في البلاغة والنقد مقدمة لنيل درجة الماجستير،1414هـ، ص2.

[2] د.نعمان محمد أمين طه: **السخرية في الأدب العربي** ، ص15.

[3] خالد سليمان: **المفارقة والأدب، دراسات في النظرية والتطبيق**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص14.

[4] ابن منظور: **تهذيب لسان العرب**، الجزء1، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1993م، ص585.

وفي **قاموس المحيط:** «سَخر منه وبه، كفرح، سخرًا وسخرا وسخرةً ومسخرًا وسخرًا».[1]

وقد استعمل القرآن الكريم مادة سخر بهذا المعنى ستة عشر مرّة وشاع استعمال الشعراء لهذا المعنى منذ القدم، يقول عبيد بن الأبرص:

وساخرةٌ مني لو عينُها رأَت مَا رأت عينِي من الهولِ جنّت

أبيتُ بسَعلاة وعول بقفرةٍ إذا الليلُ وارى اللحنَ فيه أرنَت[2]

ب- اصطلاحا:

تصنَّف السخرية من بين الأساليب الفنية التي لا يتقنها عامة الناس، «فهي من أروع الفنون الأدبية التي أنتجتها قريحة الإنسان وذلك لما ينطوي من رصد لنبضات الحياة معبرا عن الآمال والآلام، من خلال انصهاره في بَوتَقَةِ الواقع الذي يلقي الأديبُ وحيَه من خلاله، لذا تقف السخرية على رأس الأساليب الفنية الصعبة إذ أنها تتطلب التلاعب بمقاييس الأشياء تضخيما أو تصغيرا تطويلا أو تقصيرا، هذا التلاعب يتم ضمن معيارية فنية هي تقديم النقد اللاذع في جو من الفكاهة والإمتاع».[3] فالسخرية أسلوب فنيّ يعتمد على الإفحام، والمكر، وسرعة البديهة، والفطنة الشديدة، يهدف الساخر بها للنيل من خصومه بطريقة متميزة، يعدل فيها عن الهجوم ودفع الأذى والسباب، وهي ملكة لا يملكها جميع الناس بالرغم من ارتباطها بالهزء والتحقير، بل وإن غابا، فقدت السخرية جودتها كما يقول

---

[1] مجد الّدين بن يعقوب الفيروز آبادي: **قاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8 ،1426 هـ/2005م، ص1171.

[2] شعيب بن أحمد بن محمد عبد الرحمان الغزالي: **أساليب السخرية في البلاغة العربية**، ص2.

[3] سعاد سلامي: **السخرية والتهكم في ملصقات عز الدين ميهوبي**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، جامعة محمد خيضر، بسكرة،2015، ص5.

شوبنهاور.[1]

ويقول "المازني" في كتابه "الحصاد الهشيم" بعد أن حاول تعريف السخرية: «ولسنا نظن أننا أحطنا في هذا التعريف بكل ما ينبغي أن يحاط به، أو أقمنا كل المعالم والحدود»، ويقول "سليمان الشبانة" في "كتابه الرسوم الساخرة في الصحافة" «رغم كثرة استخدام لفظة السخرية و جريانها على الألسنة، وورودها في القرآن الكريم في أكثر من إحدى عشر آية إلاّ أنّها لم تحظ بتعريف اصطلاحي جامع مانع».[2]

تعتبر السخرية أرقى أنواع الفكاهة لما تحتاج من ذكاء، وخفاء، ومكر، وهي لذلك أداة دقيقة وسلاح في أيدي الفلاسفة الذين يهزؤون بالعقائد والخرافات، ويستخدمها الساسة للنكاية بخصومهم، وحينئذ تكون لذعا خالصا، وقد تستخدم في رقة وحينئذ تكون تهكما.[3] كما يمكن تعريف السخرية بعامة بأنّها:«النقد الضاحك أو التجريح الهازئ. وغرض الساخر هو النقد أولا والإضحاك ثانيا، وهو تصوير الإنسان تصويرا مضحكا: عنا بوضعه في صورة مضحكة بواسطة التشويه –الذي لا يصل إلى حد الإيلام– أو تكبير العيوب الجسمية أو العضوية أو الحركية أو العقلية أو ما فيه من عيوب حين سلوك مع المجتمع، وكل ذلك بطريقة خاصة غير مباشرة».[4] فتَرصُد هذه العيوب هو سلاح النفس على النفس.

ولا بد أن نشير إلى الفروق النوعية بين السخرية كعنصر وبين العناصر الأخرى من تهكم

[1] ينظر: سامية مشتوب: **السخرية وتجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، اللغة والأدب العربي، تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2011، ص8.

[2] شعيب بن أحمد بن محمد عبد الرحمن الغزالي: **أساليب السخرية في البلاغة العربية**، ص9.

[3] ينظر: شوقي ضيف: **الفكاهة في مصر**، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، 1969م، ص35.

[4] د نعمان محمد أمين طه: **السخرية في الأدب العربي**، دار التوفيقية للطباعة، الأزهر، ط1، 1978م، ص14.

وفكاهة، ولماحة، ونقد، وهجاء، وتلميح، ودعابة، «فإنّ السخرية إذا سيطرت وسادت على كل عناصر العمل الأدبي سواء أكان قصيدة أم مسرحية أم رواية أم حتى مقالة، فإنّها توّظف عناصر التهكم والفكاهة واللّماحيّة والكوميديا في تعميق توجهاتها الفكرية والاجتماعية والفنية، وذلك من خلال توليفة درامية تهدف إلى التعريض بشخص ما أو مبدأ أو فكرة أو أي شيء وتسرحه بإلقاء الأضواء على الثغرات والسلبيات وأوجه القصور والضعف فيه».[1]

إنّ السخرية كمصطلح متشعث المفاهيم، وهذه الأخيرة الداخلة عليه؛ هي الأخرى تدخل ضمن الفكاهة، ما يجعلنا نعرَّف مصطلح الفكاهة حتى لا تلتبس على القارئ الأمور بين السخرية والفكاهة، كذلك ليتبين عنصر الضحك المشتمل في السخرية والذي جعل منها شكلا من أشكال الأدب الفكاهي:

الفكاهة: الفكاهة بالضم المزاحُ، والتفاكُه التمازُح و فاكهتُ القوم مفاكهة بمُلَحِ الكلام والمزاح، والمفاكهة: الممازحة. وأبو زيد رجل فَكِهٌ وفاكِهٌ وفَيكهَان، وهو الطيب النفس المزَّاح. ويقال للمرأة: فكهةٌ وللنساء فَكهات. ويقال فلان فكه بأعراض الناس، يتلذذ باغتيابهم.[2]

ويربط "الثعالبي" الفكاهة بالضحك بقوله:«إذا كان الرجل طيّب النفس ضحوكا فهو فَكِهٌ، وهو في باب المحاسن والممادح عنده».[3]

لقد انتشرت صور الضحك في مراجع الأدب الكبرى، ويمكن أن نعد من حالات الضحك: الفكاهة والسخرية اللتين كثيرا ما يخلط الناس بينهما، ولا يكادون يفرقون بينهما حين يشملهم

---

[1] نبيل راغب: **الأدب الساخر**، مكتبة الأسرة، **2000م**، ص9.

[2] ابن منظور: **لسان العرب**، تح، عامر أحمد حيدر، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م، ص648.

[3] نزار عبد الله خليل: **السخرية والفكاهة في النثر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، ص5.

الجو المرح الضاحك وتنبعث من أفواههم النكت التي يمكن أن تكون لمجرد الإضحاك فحسب وحينئذ فهي الفكاهة، وقد تكون بقصد اللذع والإيلام فهي سخرية، وقد تجمع بين الغرضين، وهكذا نرى أن كل ما يضحك، فهو هزل، والذي ينقسم بدوره إلى نوعين آخرين من الهزل وذلك حسب غرضهما:[1]

1- هزل له هدف الإضحاك فقط وهو الفكاهة .

2- هزل له غرض هادف واضح – سواء كان معينا أو غير معين حين إلقاء النكتة- وهو السخرية[2]، وبذلك سنحاول تبيان مصطلح الهزل حتى يتبيّن الأمر أكثر:

الهزل: أما مادة "هزء" ففيها الحرفان (الهاء والزاي) وهما يوحيّان بالخفة واللين، وأصلها من أهزأه البرد: إذا قتله، وهزأ الرجل إبله هزءا: قتلها بالبرد، وهزأت الراحلة: إذا حركتها.[3] «ففي المادة تحريك وقتل بارد لين من غير عنف أو صوت، وتكسير. ومنه فإن الهزء هو العنصر الأهم في السخرية، وجوهره الأصيل، وهو الذي يعطيه صفته الأساسية التي تربطه بموضوعه ربطا وثيقا».[4]

إنّ الفكاهة والضحك تزدهران أثناء الأزمات السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، حتى يصبحا أسلوبين من أساليب المقاومة. التي تنتهجها النفس البشرية للتنفيس عن آلامها، والتهرب من الواقع ومشكلات الحياة اليومية. وهنا يبرز البعد الاجتماعي الأخطر المتمثل

---

[1] نعمان محمد أمين طه: **السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، ص9.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 10.

[3] الزمخشري: **أساس البلاغة**، ج2، في المواد (هزج، هز، هزيج)، ص 544. نقلا عن: د.نعمان محمد أمين طه: **السخرية في الأدب العربي**، ص11.

[4] ينظر: طه عبد الرحمان: **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1988، ص9.

في حدوثهما خاصة عند توافر شروط الأمن والطمأنينة غالبا بوجود الآخرين.[1]

فالسخرية تلتقي مع الفكاهة في المنبع الذي تنبعان منه، وقد تختلط إحداهما بالأخرى وقد تفترقان. والسخرية كفكاهة تعتبر أرقى أنواع الفكاهة، لأنّها تحتاج إلى قدر كبير من الذكاء والخفاء والمكر. ولذلك اتخذ منها الفلاسفة والأدباء أداة يستخدمونها في دقة لبيان مبادئهم ورأيهم في الخرافات السائدة أو المذاهب التي يختلفون معها ويهزؤن بها. كما لجأ إليها رجال السياسة في التندر بخصومهم ولذعِهم وإيلامهم.ويعرفها أيضا "محمد ناصر بوحجام" في كتابه السخرية في الأدب الجزائري الحديث على أنّها «طريقة فنية أدبية ذكية لبِقة في الإبانة عن أراء وتعبير عن مواقف ذات رؤية خاصة، وبصيغة فنية متميزة، وهي أسلوب نقدي هازئ هادف في التعبير عن أفعال معينة كعدم الرضى بتناقضات الحياة وتصرفات الناس، وكشف الحسرة والمرارة بطريقة غير مباشرة بعيدا عن العاطفة الجامحة، والانفعال الحاد قصد الإصلاح والتقويم والتغيير نحو الأحسن، وطالبا للتنفيس عن الآلام المكبوتة».[2]

2-2- الأدب الساخر في الأجوبة المسكتة:

إنّ الأدب الساخر «لا يعني الضحك من أجل الضحك فهذا يسمى تهريجا، بينما الأدب الساخر هو كوميديا سوداء تعكس أوجاع المواطن السياسية والاجتماعية، ويقدمها بقالب ساخر يرسم البسمة على الوجه، ويضع خنجرا في القلب، ويشتمل هذا الأدب على

[1] نزار عبد الله خليل: **السخرية والفكاهة في النثر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، ص6.

[2] زينة جواد، سهيلة طراريست: **تجليّات السخرية في القصة العربية المعاصرة بين زكريا تامر وسعيد بوطاجين أنموذجان**، ص15.

كافة أنواع الإبداع الأدبي الذي يطرح موضوعاته بسخرية، والكاتب الساخر هو من يحول الألم إلى بسمة والحزن إلى إبداع، ومهمته بأن يجعل قضية مهموم بها رسالة يريد لها أن تصل»،[1] وبذلك نجد القارئ الذي إذا ما وصلته هذه الرسالة خرَّ باكيا من فرط الضحك، وفي الوقت نفسه ضاحكا من فرط الألم.

«فهناك فرق بين الأدب الساخر كمفهوم شامل سواء على مستوى الشكل أو المضمون وبين عنصر السخرية الذي يمكن أن يوّظفه الأديب في عمل من أعماله بالإضافة إلى عناصر أخرى. لكن عندما تصبح السخرية هي العنصر الأساسي في المضمون والعمود الفقري للأحداث والمواقف، فإنّ العمل ينضوي تحت بند الأدب الساخر. وعلى الرغم من الفروق النوعية بين السخرية كعنصر وبين العناصر الأخرى من تهكم، وفكاهة، ولمّاحية، ونقد، وهجاء، وتلميح، ودعابة».[2]

فالأدب الساخر هو نوع من الكتابة التي جعلت للقلم حبر خاص لتحرير خطاباته التي يعبر بها الأديب من خلاله عن ما تكبته نفسه من هموم ومشاكل، بطريقة مصطبغة بشتى ألوان السخرية لإخضاع الخصم، ولإراحة نفسه المتعبة المكدودة، وإيصال الكلمة التي تحويها الرسالة بصوت غير مباشر، وذلك بالاعتماد على أهم العناصر التي تشتمل عليها عناصر السخرية من عنصر الهزء، وعنصر الخفاء، وعنصر الأسرار،[3]لأجل التغيير والإصلاح.

---

[1] شمسى واقف زادة: **الأدب الساخر أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية**، ص102.

[2] د.نبيل راغب: **الأدب الساخر**، ص9.

[3] ينظر، نزار عبد الله خليل: **السخرية والفكاهة في النثر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، ص 9-11.

ومن خلال ما سبق من تعريفنا للسخرية وأهم المصطلحات المتعلقة بها في هذه الدراسة، التي أخذناها لما تتميّز به، كدراسة يمكن من خلالها تحقيق الغاية المنشودة في كتاب "الأجوبة المسكتة لابن أبى عون"، تخصيصا في "الخطابات الساخرة" باعتبارها أجوبة ذكية ومثالا جيدا للأدب الساخر، الذي عبّر عن الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية في العصر العباسي، تعرض فيه أهم الأجوبة التي تثير السخرية والضحك والهزل والفكاهة والهجاء وغيرها، فكلها آليّات توصلنا لفهم قصد المرسل، أين استخدمت كقرينة ملازمة للظروف الاجتماعية خاصة، وتسليط الضوء عليها، ذلك للوصول إلى الغايات والمرامي التي سنتداركها من خلال دراستنا للمقاصد المتنوعة التي تحويها هذه الأجوبة المسكتة والمفحمة الساخرة، والتي اختارها المؤلِف وصنّفها في مؤلَفه عن غيرها، سواء أكانت تلك الأجوبة قيلت في العصر الذي عاش فيه أو العصور التي تسبقه فسمعها عبر التّناقل.

تجلّت الأخبار والقصص ضمن ميادين متعددة. والخطاب الساخر نرى أنّه قد تعدّدت محطاته في "الأجوبة المسكتة" بتعدّد أبوابه، من أوّل باب–الجوابات الجديّة– إلى آخر باب –من الجوابات الهزليّة–، وهذه الميادين عامّة تمثّلت في:

1–الخطاب الساخر التاريخي أو السياسي: مثل؛ **قال رجل لثمّامة: تقدر أن تؤخّر ما قدّم اللّه وتقدّم ما أخر الله؟ قال: هذا على ضربين: إن أردت أن أصيّر لك رأس الحمار ذنبه، فلا. وإن أردت أن أقدّم معاوية على عليّ وقد أخّره الله، فنعم.**[1] ومثال

[1] إبراهيم بن أبي عون: **الأجوبة المسكتة**، ص147.

آخر؛ **قيل للجاحظ: قد وضع جعفر بن حرب كتابا يردّ فيه على النظام. فقال ها هنا واضع له، وواضع به، فأيّما هو؟**[1]

2-الخطاب الساخر الاجتماعي: وهي كثيرة ومتنوّعة، مثل؛ **نظر الأصفهاني إلى أبي هفّان يُسارّ رجلا، فقال: فيما تكذبان؟ فقال أبو هفّان: في مدحك.** ومثال آخر: **قيل لبعض الفقراء وقد مرض: عليك بالحمية. قال: هي دائي.**[2] ومثال آخر؛ **شتم رجل ايدجانس، فلم يردّ عليه، فقيل له في ذلك، فقال: إن نبحك كلب تنبحه، أو رمحك رمح ترمحه؟.**

3-الخطاب الساخر ذي ظاهرة الشذوذ الجنسي: **قيل لرجل لوطي: إنّ اللّواط إذا استحكم صار حلافا. قال هذا من أراجيف الزناة.**[3]

4-الخطاب الساخر الديني العقائدي: مثال؛ **قال بعض المتكلمين لبعض النصارى: لمَ قلتم: إنّ الباري -جلّ ذكره- له ولد؟ قال: من قبل أنّى رأيت من لا ولد له فهو عقيم، وهي صفة ذمّ، والذّم منفى عنه. قال: فللإبن ولد؟ قال: لا قال: فابنه عقيم، وقد أدخلت عليه صفة ذمّ. فانصرف، وانقطع.**

5-الخطاب الساخر اللّغوي: مثل؛ **تكلّم ربيعة بن أبي عبد الرحمن يوما فأسهب، وأعرابي ينظر إليه؛ فظنّ أنّه أُعجب بكلامه، فقال له: ما تعدّون البلاغة فيكم يا أعرابيّ؟ قال: خلاف ما كنت فيه اليوم.** ومثال آخر؛ **_تكلّم رجل بحضرة معاوية**

[1] المصدر نفسه، ص150.

[2] نفسه ، ص200-201.

[3] نفسه، ص195.

فهذر، ثمّ قال: أسكتُ يا أمير المؤمنين؟ قال: وهل تكلّمت؟. ثمّ أقبل على بعض جلسائه، فقال: أما ترى تعثّر لسانه بكلامه، وتعثّر كلامه بلسانه؟[1]

6-خطابات جنسية ساخرة: مثل؛ **قال معاوية لعقيل، وكان عجيب الجواب: إنّ فيكم يا بني هاشم لشبقا. فقال: هو منّا في الرّجال ومنكم في النساء.**[2]

7- خطابات ساخرة على لسان الحيوان: وهي قليلة، مثال ذلك؛ **قبض ثعلب على أرنب، فضمّه منكرة. فقال له الأرنب: لَم تفعل هذا لقوّتِك ولكن لضعفِي.**[3]

فمن خلال هذه النوادر وتجلياتها في الخطابات خاصة الساخرة منها، حاول "إبراهيم ابن أبي عون" أن يضعنا ضمن قالب يجعلنا من خلاله نعيش تلك الفترة التي صوّرها في أجوبته المتنوعة الأخبار، فتعدّدت صوّرها بتعدد ظروفها واختلاف زمكانها. فبنى بها معارف شكّلت للقارئ اللبيب جسرا زمنيا يَعبُر به إلى تلك الفترات من التاريخ.

[1] إبراهيم بن أبي عون: **الأجوبة المسكتة**، ص15.

[2] المصدر نفسه، ص8.

[3] نفسه، ص204.

المبحث الثالث: الإستراتيجية التخاطبية.

إنَّ الخطاب أساسه إنجاز لأفعال لغوية، بما في ذلك تحديد الاشاريات، والتعبير عن المقاصد، وتحقيق الأهداف، فكيفية إنجازها وتوظيفها في السياق، وهو ما يحدو بنا إلى دراسة هذه اللغة في استعمالها؛ دراسة تداولية، تعنى بكيفية إنتاج الخطاب، بوصفها محور استراتيجياته، وعليه فأصل استراتيجية الخطاب، هي عملية ذهنية لا تتجسد ولا تتضح إلا بالتكلم والتّلفظ بالخطاب، من خلال توليده عبر خطوات أهمها؛ الأسئلة السياقية التي تربط بين الخطاب من جهة والسياق من جهة أخرى. «ومن هنا يتحتم على المرسل، أن يختار الاستراتيجية المناسبة، التي تستطيع أن تعبّر عن قصده وتحقق هدفه بأفضل حالة؛ ففعل الاعتذار، مثلا، يتحقق عبر خطابات كثيرة، كلّ خطاب منها يمثل استراتيجية، من خلال التمايز بين بعضها البعض. والفيصل في استحسان إحداها، من هذه الوجهة يعود إلى اعتبار السياق الذي ينجز المرسل خطابه فيه، بما في ذلك قصده الذي يريد التعبير عنه، ممّا يحيل الخطاب إلى فعل اجتماعيّ»[1]."فجاكبسونJackobson" يقول:«أن الكلام يجب أن يُدرس من خلال وظائفه، ولمعرفة هذه الوظائف وجب أن نلقي نظرة وجيزة على العوامل المقومة لكل أداء لساني أو عملية تبليغ لفظية، هناك مرسل يرسل خطابا إلى مخاطَب ولكي يكون هذا الخطاب فعاليا لا بد أن يكون مُحالا على سياق، وهذا السياق يجب أن يدرك من

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري: **استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداوليّة**، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، ص56.

المخاطب، ويكون إما لفظيا أو قابلا للصياغة اللفظية».[1] والسياق «هو مجموعة الظروف التي تحفّ حدوث فعل التلفظ بموقف الكلام».[2]

فالخطاب هو نتيجة لاستراتيجية معينة يتولد من خلال ثلاث مراحل، هي[3]:

1-إدراك السياق الذي يجري فيه التواصل بكل أبعاده المؤثرة ويكون بالعملية الذهنية بإعمال الفكر الذي يثيره المرسل في قوالب كفاءته التداولية.

2-تحديد العلاقة بين السياق والعلامة المستعملة، ليتم اختيار الاستراتيجية الخطابية الملائمة.

3- التلفظ بالخطاب.

وهذا ما نجده عند "ابن أبي عون" في خطاباته الساخرة، بعد أن فرض السياق الاجتماعي والسياسي والثقافي نفسه على هذا الخطاب، فضمّنه " ابن أبي عون" ضمن قوالب فكرية، مختارا في ذلك استراتيجية تخاطبية ملائمة لبلوغ مقاصد هذا الخطاب بالصورة البليغة.

أما عنصر الكفاءة التداولية؛ التي هي عبارة عن أنساق متعددة متآلفة، تستثمر تلك القوالب الكامنة في ذهن الإنسان، بما في ذلك كفاءته اللغوية بما تفرضه من قوانين حسب مظاهر السياق، وما يستحسنه المرسل. إذ تتألف القدرة التواصلية لدى مستعمل اللغة الطبيعية من خمس ملكات على الأقل، هي: الملكة اللغوية والملكة المنطقية والملكة المعرفية والملكة

[1] إبراهيم إدير: **القصدية في الأدب الكبير لابن المقفع، دراسة تداولية**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ص35.

[2] إبراهيم إدير: **القصدية في الأدب الكبير لابن المقفع، دراسة تداولية** ، ص41.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص62-63،41.

الإدراكية والملكة الاجتماعية. وهذه الملكات عناصر مكوّنة لهذه الكفاءة. خلاف الكفاءة اللغوية.*[1] فالاستراتيجية الخطاب هي نتيجة لصنعة الكفاءة التداولية وصناعتها لخطابه، فإنّه يُلمَس التفاوت بين الناس في مستواها، والتفاوت في مكان المزيّة في خطاباتهم.[2]

1- عناصر المقام :

هناك عدد من العناصر التي تشارك في بلورة عملية التواصل في الخطاب، ويمكن معرفتها وفحصها للنظر إلى الخطاب ذاته، بوصفه الميدان الذي تتبلور فيه كل هذه العناصر مما يحيلها إلى عناصر سياقية وعناصر الخطاب السياقية، إجمالا، هي[3]:

1-المرسل

2-المرسل إليه

3-العناصر المشتركة مثل العلاقة بين طرفي الخطاب، والمعرفة المشتركة، والظروف الاجتماعية العامة، بما تثيره من الافتراضات المسبقة والقيود التي تؤطّرعمليّة التّواصل، وهذا العنصر يعدّ أكثر العناصر المهيمنة في الخطاب الذي هو ممارسة تجري تداوليا في السياق، لانعكاسه على العناصر الأخرى.

فكل عملية تواصلية تفترض مخَاطِبا ومُخَاطَبا وسياقا مرجعيا ومقصدية الرسالة. فالتواصل

---

[1]***الكفاءة اللغوية** هي "معرفة المتكلم – المستمع بلغته"، وأما **الأداء اللغوي** فهو "الاستخدام الفعلي للغة في مواقف حقيقية" ولا يمكن القول أن الأداء هو انعكاس مباشر للكفاءة، هو قد يعكس الكفاءة ولكن تحت شروط خاصة. لذلك يرى **تشومسكي** أن أعظم ما يميز الكفاءة اللغوية هو ما يمكن أن نسميه بـ "إبداعية اللغة" وهى مقدرة المتكلم على إنتاج جمل جديدة تكون مفهومه لنا رغم عدم سماعنا لها من قبل.

[2] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: **استراتيجيات الخطاب**، ص 57،61.

[3]ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص39.

هو ذلك الميكانزيوم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية وتتطور، إنه يتضمّن كلّ رموز الذّهن مع وسائل تبليغها عبر المجال وتعزيزها في الزّمان. وقد بيّن " جاكبسون" هذه العملية التواصلية ضمن خطاطة "شانون"[1]:

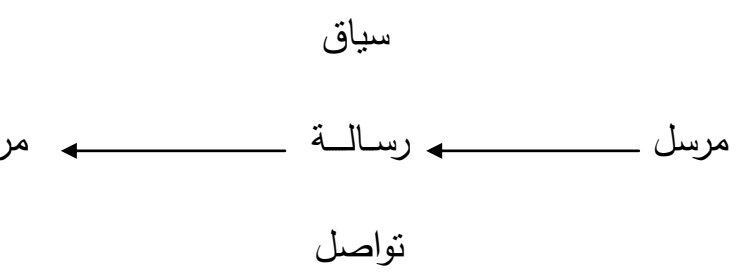

1-1- المرسل:

هو العنصر الأول من عناصر العملية التواصلية، وهو «الذات المحورية في إنتاج الخطاب؛ لأنه هو الذي يُتلفظ به، من أجل التعبير عن مقاصد معينة، وبغرض تحقيق هدف فيه. ويجسّد ذاته من خلال بناء خطابه، باعتماده استراتيجية خطابية تمتد من مرحلة تحديد السياق ذهنيا والاستعداد له، بما في ذلك اختيار العلامة اللغوية الملائمة،وبما يضمن تحقق منفعته الذاتية؛ بتوظيف كفاءته للنجاح في نقل أفكاره بتنوعات مناسبة».[2]

لذا لا يمكن التحدث عن أي خطاب كان، دون أن نُفعِّل للغة الطبيعية، وتفعيل نشاطها التواصلي؛ إلاّ من خلال المرسل عن طريق الفعل التّلفظي الذي يقوم به لكي ينتج هذا الخطاب.

والمرسل في "الأجوبة المسكتة" هو "إبراهيم ابن أبى عون"، نجده في هذه الأجوبة، يزوّد

[1] إبراهيم إيدير: **القصدية في الأدب الكبير لابن المقفع، دراسة تداولية**، ص16.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري: **استراتيجيات الخطاب**، ص45.

القارئ بأخبار ومعارف لم يعرفها من قبل، منها ما هو صريح وواضح، ومنها ما يشير إشارة، بحيث يفهمه السامع أو القارئ من لفظ ترد في الكلام. وبالرغم من أنّ هذا المرسل هو محور هذه الاستراتيجية التخاطبية، إلاّ أننا يجب أن نشير إلى أنه "مرسل ثان" لهذه الأخبار والنوادر والقصص التي رواها أصحابها في فترة معينة قد تكون في فترة "ابن أبى عون"، أو فترة ما قبل ذلك. ومنها ما سمعها مباشرة، وأخرى تناقلت حتى وصلت إليه. بحيث أصبحت "أخبار الأولين" ونوادرهم ثقافة مهمة يستند عليها الآخِرين.

لقد حاول المؤلف أن يختار من الأجوبة معارف يعرفها القارئ، إلاّ أنّه ينشغل عنها فينساها بالملاهي الدنيوية، هنا يكون المرسل قد دغدغ ذاكرة المتلقي وحرّكها ليخرج الصورة النمطية ويضفي إليها جملة من الأفكار والمفاهيم يهدف من خلالها لبلوغ مقاصد معينة. والخطاب الساخر هو الآخر كان له فرصة الظهور في هذا الكتاب لما يحمله من مقاصد رأى الكاتب من خلالها ما يلبّي رسالته. وكلّ هذه «الأخبار والنّوادر تكون ضمن أطر ثقافية واجتماعية كان من الصعب عليه تجاوزها، ضمن السرد الذي يثير في المتلقي تجاوبا عاطفيا يتمثل بالضحك، وهي ميزة من الميزات التي سادت في العصر الوسيط».[1]واختياره لهذه المادة وتصنيفها بهذه الطريقة على خلاف ما جاء به سابقوه من المؤلفين، تعتبر «لغة التّخاطب بينه وبين القارئ».[2] ويقول "الجاحظ" في "البيان والتبين":« ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكلّ طبقة من ذلك

[1] إبراهيم ابن أبي عون: **الأجوبة المسكتة**، مقدمة التح، ص51.

[2] المصدر نفسه، ص59.

كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يُقسّم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات»،[1] فالمرسل كونه فاعل للكلام، هو وحدَه من يستطيع تحديد المدلولات ومقاصدها لارتباط المعنى في العديد من المرّات بما يريده وينوي إبلاغه، شريطة إلمامه بمقتضيات الخطاب المختلفة من درايته بأقدار المتلقيين ومنازلهم وإمتلاكه السبّل لإقناعهم أو إمتاعهم، حيث يخاطب كل متلقي بما يناسبه. كما يشترط "طه عبد الرحمن" أن تكون إرادة في المرسل لتوجيه الكلام إلى الغير في إفهامه، فالمنطوق لا يكون كلاما ولا يتشكل من خلاله الموضوع المراد إرساله، حتى يحصل من الناطق إرادة توجيهه إلى غيره، وإرادة إفهامه.[2] والمرسل في المدوّنة على مرتبتين:

- **مرسل أول** صاحب هذه الخطابات الأصلي للخطاب؛ تميّز حضوره بالتنوع والتّعدد؛ إن على مستوى مراتب الناس وطبقاتهم، أو على مستوى الأفعال والضمائر والقرائن المعبّرة عنه.
- **مرسل ثان،** وإبراهيم بن أبي عون كان في وقت ما متلق مفترض، عن طريق سمعه لهذه الأخبار مباشرة، مشافهة عن أصحابها أو نقلها من شخص لآخر لتصل إليه، صنفها هو الآخر وجعلها رسالة لمتلقي آخر، وهو القارئ الذي قد يكون مقصودا أو هاويا أو مفترضا، ذلك حسب لغة الرسالة وسياقها ومقصديتها.

إنّ هذا الترتيب قائم على القصد الذي من أجله وُجد الكتاب وصُنّف، من نقل لأخبار

[1] الجاحظ: **البيان والتبيين**، تح: عبد السلام محمد هارون،ج1، دار الجبل، بيروت لبنان، ص75.

[2] ينظر: طه عبد الرحمن: **اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي**، ص214.

الأوّلين وقصصهم ونوادرهم، حيث كان للكتاب جولات في الميادين السياسية والفكرية والاجتماعية وغيرها، فكتاب "الأجوبة المسكتة" رسالة تحمل مقاصد التعليم والتوجيه ومعرفة أخبار الأوّلين وقصصهم، واستخلاص العبر والحكم منها ومن أقاويلهم، وفهم ضروب التفكير والتعبير...إلخ، إذ وضعه حسب السيّاق الذي كان يقتضيه عصره بفضائيه الزّماني والمكاني. واختار له الأجوبة التي تتلائم والقصدية المراد إيصالها إلى المتلقي في عصره العباسي، أو بعده. وذلك في شكل آيي قرآنية، أو أمثال، أو حكم.

لقد جاء كتاب الأجوبة المسكتة كدعوة للقراء ذوي الألباب للمشاركة في إعادة إنتاج النص، من خلال تفسيره وفهم رموزه ومعرفة باطنه من ظاهره. وخاصة الأجوبة ذي الخطابات الساخرة التي تحمل بنية سطحية وبنية عميقة، تحتاج نوعا خاصا من التحليل العميق.

1-2- المرسل إليه:

هو العنصر الثاني من عناصر العملية التواصلية، والطرف الذي يوجّه المرسل إليه خطابه عمدا، بحيث يكون المرسل إليه حاضراً في ذهن المرسل عند إنتاج الخطاب، سواء أكان حضورا عينيا، أم استحضارا ذهنيا.[1] فتحدث ديناميكية بين قطبي هذه العملية– المرسل والمرسل إليه–، على اعتبار أنّ الكلام أنشئ من أجله، لتنتج استراتيجية خطابية تساهم في الوصول إلى المعاني المقصودة. بعد أن يقوم بمهمة السّعي وراء فهم معنى المتكلّم، بحيث إنّ هذا الأخير«واع بمسؤولية مراعاة مخاطبه في مقاله من حيث إفهامه الخطاب، والمتلقي هو «المتلقِّف الذي قصده الملقي بفعل إلقائه»، وهو الفاهم الذي «قصده المفهم بفعل

[1] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: **استراتيجيات الخطاب**، ص 47-48.

إفهامه»،[1]فالجاحظ" قديما أوضح بأن «مدار الأمر على إفهام كلّ قوم بمقدار طاقاتهم والحمل عليهم على أقدار منزلتهم»،[2]«فيعدّ الطرف الآخر الذي يوّجه إليه المرسل خطابه عمدا، فهو يتلقى الشّفرة وعليه فكّ رموزها وماذا يقصد من الرّسالة».[3]

إنَّ "إبراهيم ابن أبي عون" في مؤلّفه هذا، نراه يقسم متلقيه إلى ثلاث درجات:

القارئ العادي(الهاوي): وهو متلقي "غير عارف" وغير واعي، حيث وظّف ابن أبي عون ما تحتاجه هذه الفئة من الحكمة والقصص الأخلاقي والعبر ليغذّي ويقوّم الواحد منها نفسه على الطريق السوي.

القارئ العارف (المستهدف): وهو متلقي متذوق، مقصود كالملك أو السلطان أو الحاكم، وهذا ما صوّره "ابن أبي عون" من حياة الملوك والسلاطين والحكام، وأحوالهم ويجري في بلاطهم، وبما أنّ المؤلّف كان أديبا جليسا في بلاطاتهم، دائم الإقبال على موائدهم، لابد أنّ قلمه مسخرا خاصة لأجل هذه الفئة أكثر من غيرها.

القارئ الناقد (النموذجي): وهذا المتلقي يعتبر الغاية الكبرى لدى "ابن أبي عون"، لاحتوائه على قدرات تمكّنه من إعادة صياغة النص من جديد وبشكل جديد، ويكون عادة في بحثه عن الحكمة الكامنة في ثنايا النص وإعادة بلورتها، فقد تكون بأسلوب مباشر، أو غير مباشر كاختفائها تحت البنية العميقة للخطاب الساخر.

لقد صنّف المؤلف الأبواب التسعة وسمّاها بعناوين محددة من فئات المجتمع،

---

[1] طه عبد الرحمن: **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**، ص214.

[2] الجاحظ: **البيان والتبيين**، ج1، ص92.

[3] برهومة عيسى: **تمثّلات اللغة في الخطاب السياسي**، مجلة عالم الفكر، ع1، المجلد36، 2007، ص125.

توسّطت بابي الجد والهزل، نستذكرها: الجوابات الجدية، جزء من جوابات الفلاسفة والحكماء، أمثال اليونانيين، من جوابات الزهاد، من جوابات المتكلمين، من أجوبة الأعراب، من أجوبة النساء، من جوابات المدنيين والمخنثين، ومن الجوابات الهزلية. وهذا الترتيب ليس ترتيبا عبثيا، إنّما ترتيبا يتناسب مع المتلقي المستهدف وخاصة أنّ هذا الأخير هو من يحدد للمرسل نوعية الرسالة، فلا يمكنه إلاّ أن يقدّم مادته بما يسترعي اهتمامهم، وبما أن الأديب يتوجه حسب توجه القراء في عصره، كما يعتبر هذا الكتاب توليفة موضوعات معرفية توجيهية، تجمع بين طبقات متنوعة من طبقات المجتمع الفكرية والثقافية والسياسية، ما يجعله مرجعا لكل فرد من أفراد هذا المجتمع، يختار منها ما يناسبه، وما يسترعي انتباهه؛ لأن وحدات هذا الكتاب وأجوبته في الخطابات الساخرة، مغرية حدّ الرغبة ليس فقط في التطلع عليها، وإنّما تجعل متلقيها ينتظر اللحظة المناسبة حتى يستعين بهذه الأجوبة كردّ مسكت ينتصر به على خصومه، ويجعلها سلاحا فيصلا كلما توجه نحو مجلس، أو صادفته واقعة، فيصبح الفارسُ المغوار مستَلاً لهذا السلاح بقوة رده المفحم فيقيم الحجة، ويدفع الشبهة والفساد لينتصر بالضحكة.

ولا بد أن نشير في رأيي إلى خاصية التفريق بين "الجد والهزل" في الكتاب، كما ذكر "ابن أبي عون" في مقدمته:« **وجعلت ذلك أبوابا لئلا يختلط الجد فيه بالهزل، والواعظ بالمضحك، والركين بالركيك، وإذا وعيت ذلك حفظا، واستثبته فهما، نبذت إليك بقطعة**

أخرى».[1]هذا يعني أنه جعل من الأبواب ما يتسم بالجدية والحكمة، وأخرى ما يتسم بالهزل والتسلية، لكن هذا لا يعني- حسب رأيي- أنه قد فرق بينهما تفريقا قاطعا في كل المواضع، بل في كثير من الأحايين جعلهما في الجزء الواحد، بل جعلهما وجهان في الجواب الواحد، في كثير من الأحيان يجمعهما الخطاب الساخر، وجه كبنية سطحية والآخر كبنية باطنيّة، وذلك حسب الغرض الذي جيء به هذا الجواب. كأن يستعين بالهزل كدال ظاهري ويوظفه لمدلول يحمل دال آخر، وإذا وعى القارئ هذا الأمر، وفهمه، واستثبته – التفريق بين الجد والهزل-، ناول المؤلف القارئ قطعة أخرى وهكذا. وتوزيع المؤلف لمواد كتابه في أبواب عدّة، بحيث لا تختلط المواد غير المتناسبة مع بعضها البعض، يبدو واضحا من خلال هذه الأبواب وتسميتها، فكل هذا وغيره، يشير إلى الوعي المنهجي عند "ابن أبي عون"، كما يشير إلى توجهاته ومعارفه التي اعتمد عليها ليوزعها على متلقيه في أي مستوى كان.

إنّ القصص الإخباري البسيط الذي نجده ضمن كل جواب من هذه الأجوبة أو الخطابات الساخرة يتضمن رسالة موضوعها قد يكون بالتسلية والضحك، لغرض التوجيه والتعليم. كما قد يكون لمجرد التسلية. يمكن شرح هذا النمط التواصلي:

المرسل	← **الرسالة**	← **المرسل إليه**
الرغبة في الإخبار عن الأولين وتوجيه القراء وتعليمهم	التسلية والضحك لتحقيق أوضاع أحسن	القارئ المفترض (المستهدف/الهاوي)

[1] إبراهيم ابن أبي عون: **الأجوبة المسكتة**، ص5.

1-3- العلاقة بين أطراف الخطاب:

إنّ من بين الطرق المهمة التي تتجسد العلاقة فيها بين أطراف الخطاب، تكون عن طريق اللّغة، وذلك من خلال وظائفها التي وضعت أساسا لتحديد أنواع هذه العلاقة بين الناس، التي تتغير وتتلون فتتجسد من خلال استعمال اللغة للأغراض التي وضعت لها؛ وهو الغرض الاجتماعي الذي هو غاية كل فرد في المجتمع، بل الطبيعة التي تفرضها العلاقات الإنسانية فيما بينها. وتمتاز هذه العلاقة بأسبقيتها على الإنتاج، لذلك عُدّت من عناصر السياق المؤثرة، إذ حتى ولم تكن هذه العلاقة موجودة سلفا بين طرفي الخطاب، فإنّ المرسل بخطابه يسعى لإيجادها.«فالمرسل إليه حاضر في ذهن المرسل عند إنتاج الخطاب، سواء أكان حضورا عينيا أم استحضارا ذهنيا، وهذا ما يسهم في حركية الخطاب ويمنحه أفقا لممارسة استراتيجية خطابه ولإبراز قدرة المرسل نفسه».[1]

ومن خلال اللغة التي يعبر بها المرسل أو ينتجها -حسب سياق الخطاب- ساعيا في استحضار المتلقي المناسب لهذا الخطاب، تتشكل لنا العلاقة القائمة بين أقطاب العملية التواصلية. واللّغة حينها، هي تلك المحدد الرئيسي لتوجهات الرسالة، بحيث إنّ:

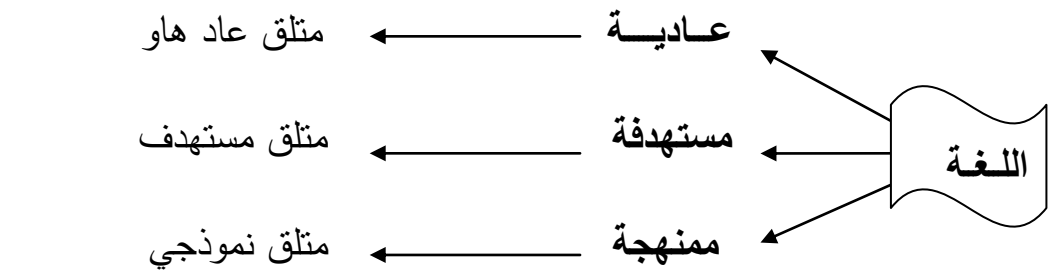

ومنه؛ فإنّ المرسل "ابن أبي عون" دائما ما يوجه رسالته لكافة الناس، وكل فرد من

[1] برهومة عيسى: **تمثلات اللغة في الخطاب السياسي**، ص124.

هؤلاء يأخذ من الكلام ويؤوله حسب عصره والدرجة التي ينتمي إليها – العادية الهاوية، العالمة المستهدفة –الناقدة–، خاصة إذا ما تعلق الأمر بالأوصاف المعنوية. وكتاب الأجوبة المسكتة في معظمه جاء لمقاصد توجيهية يراها ابن أبي عون تنتقل مع العنصر البشري. لكن من هو الذي يمكن أن يكون تأويله ضمن المقصود الذي أراده المرسل؟. إذ نقول أنّه مادامت اللّغة هي كيان خاضع للغرض الاجتماعي. فهذا الخضوع هو الذي يقود الرسالة إلى المتلقي المقصود الذي يستجيب لها، وذلك بعد فك رموزها وإدراك دلالاتها، وكلّ هذا يكون حسب سياق الكلام لأنّ «اللّغة وحدها لا تكون وساطة للمرسل إليه في معرفة قصد المرسل دون النظر في السياق، فوجب مطابقة الكلام بمقتضى الحال».[1]

ويحدد "جاكبسون" R–Jakobson العملية التواصلية أنها نقل المعلومات والأفكار بين الأفراد والجماعات بوسائل عديدة أهمها اللّغة لكونها كيان إنساني واجتماعي يختزل معارف الأفراد والجماعات، فتكون اللغة في هذه الحالة ذات وظيفة تواصلية.[2]

في خطابات "إبراهيم ابن أبي عون" الساخرة مقاصد متعددة متنوعة تغيّرت حسب السياق العام لها، محددة الاستراتيجية التخاطبية المناسبة. وفي اختيارنا هذا وبعد قرائتنا المتكررة لهذا الكتاب، وجدنا أنّ هذه الأجوبة تحمل أغراض تتعلق بالصورة التي ترسمها الخطابات الساخرة للواقع بجماله وقبحه، بأساليب وصيغ ومقومات مختلفة عنها في الكتابة العادية، حتى تصل هذه الرسالة، وتبلغ مقاصدها. والتي سنحاول الوصول إليها من خلال ما سندرسه.

[1] إبراهيم إيدير: **القصدية في الأدب الكبير لابن المقفع، دراسة تداولية**، ص9.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص16.

الفصل الثاني: المقاصد التواصلية ونقد المؤسسة الاجتماعية

المبحث الأول: قصد الإخبار والاستخبار

المبحث الثاني: حجاجية التمثيل البلاغي وآلياته في الخطابات الساخرة

المبحث الثالث: الفعل الكلامي والقصد التوجيهي

المبحث الرابع: الاشاريات والعلاقات التخاطبية (المقاصد الموضِعية)

المبحث الأول: قصد الإخبار والاستخبار

«إنّ الكلام هو تبادل المعلومات مع القيام بفعل محكوم بقواعد مضبوطة في الوقت نفسه، وهذا الفعل يهدف إلى تحويل وضع المتلقي وتغيير نظام معتقداته ومواقفه السلوكية»[1]. « كما أنه هناك العوامل المقومة لكل أداء لساني أو عملية تبليغ لفظية، هناك مراسل يرسل خطابا إلى مُخاطَب، ولكي يكون هذا الخطاب فعاليا لا بد أن يكون محالا على السياق، وهذا السياق يجب أن يُدرك من المخاطَب، ويكون لفظيا أو قابلا للصياغة اللفظية»،[2] «والكلام يفيد بأصل وَضعه معنىً نُطلق عليه المعنى الحقيقي أو الأصلي، ولكنه قد يخرج أحيانا عن المعنى الذي وضع له أصلا ليؤدي إلينا معنىً جديداً يُفهم من السياق وتُرشد إليه الحال التي قيل فيها».[3]وفي أصل هذا الوضع قد يخرج الخبر إلى غرضين:[4]

1-فائدة الخبر: يكون السامع جاهلا للخبر، فالخبر لإفادته بما لم يكن يعرفه.

2-لازم الفائدة: يكون السامع عارفا للخبر، فالخبر لإفادته بأن صاحب الخبر عالم به.

وقد يخرج الخبر عن هذين المعنيين ليؤدي إلينا معنى جديدا يفهم من السياق.

وفي الحالتين ينبغي على صاحب الخبر أن يأخذ في اعتباره حالة المخاطب عند إلقاء الخبر،أي مطابقة الكلام لمقتضى الحال.[5]

---

[1] محمد كريم الكواز: **البلاغة والنقد، المصطلح والنشأة والتجديد**، مؤسسة الانتشار العربي،ط1، لبنان، 2006،ص281.

[2] محمد الصغير بناتي: **النظريات اللسانية والبلاغة عند العرب**، ص200. نقلا عن: إبراهيم إيدير: **القصدية في الأدب الكبير لابن المقفع**، ص35.

[3] عبد العزيز عتيق: **علم المعاني**، ط1، دار النهضة، بيروت، 1985، ص40.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص40.

[5] إبراهيم إيدير، **القصدية في الأدب الكبير لابن المقفع**، ص36.

فنقول أنّ الخبر هو من الأسس التي يتجسد بواسطتها الفكر وينتقل إلى المتلقي، والإخبار هو الذي يشكل القصد والغرض من التّخطاب بصفة عامة، حيث «يلتقي مفهوم الإخبار بمفهوم التواصل الذي يتحدّد في النمط الخاص للعلاقة الداخلية بين المتكلم والمتلقي وهو إيصال الخبر حسب رأي "ديكرو"».[1] فغرضه تزويد المتلقي بمعارف يجهلها.

إنّ المرسل في "الخطابات الساخرة" في كتاب "الأجوبة المسكتة" هو "ابن أبي عون"والذي وجّه كلامه لمتلق غير ثابت؛ متلق مختلف عن غيره في استيعاب هذه الأجوبة – هاو، عارف، مستهدف– يتلقى هذا الخبر ويفهمه بحسب ظروفه الفكرية والسياسية والنفسية وغيرها، في أي زمان ومكان، وهذا الفضاء "الزمكاني" نجده كآلية لبلوغ المقاصد التوجيهية والتعليمية...، فنجده دائما ما يبدأ خطابه الساخر بالإخبار عن الأقدمين، باستعماله للآليات المناسبة في استراتيجية الإخبار، وهذا ما تتميز به اللغة عند ابن أبي عون، والتي امتدت إلى أفق واسعة من التواصل. وكان الإخبار ضمن إشارات ومفاتيح اعتمد عليها، فاستند إلى الأوّلين ليتجرد بدوره من السّلطة الخطابية تمثلت في: قال/ قيل/ سمع/ سأل/ أنشد/ نادى/ كتب/ جاء/ حدّث/ ذكر/ تكلّم/ ... فكلّ هذه الإشارات من أفعال القول وأفعال الشروع وغيرها هي لغة تخاطبية بين المؤلف "ابن أبي عون" والمتلقي، تخبر عن أشياء وتستخبر عن أخرى، شأنها بأن تخبر عمّا سيكون من حدث، ومادام أنّ المؤلف يخبرنا ويقص علينا أحداثا من الماضي، فلا بد أن ينتهج هكذا وسيلة ليوصل بها مقاصدَه

[1] O.Ducrot : **Dire et ne pas dire**, p200

نقلا عن: إبراهيم إيدير: **القصدية في الأدب الكبير لابن المقفع**، ص35.

للإخبار عن الأولين وتقديم الطابع الاجتماعي السائد آنذاك، أو الطابع السياسي أو التوجه الفكري أو التوجه العقائدي وغيره، لتكون كل هذه الأخبار صورة عامة تُغيّر توجه المتلقي وتغيِّر قوانين تعامله ومنظومة اعتقاداته لما لها من نفع أو ضرر على الفرد وعلى المجتمع، لتخرج إلى مقاصد قائمة على ثنائية (الفعل≠الترك). وهذا ما سنصل إليه من خلال دراستنا للخبر والإنشاء وخروجهما عن معانيهما الأصلية.

1- السؤال والجواب وقصد الإفهام والفهم:

إنّ أهمية السؤال والجواب في الخطابات تكمن في خمس نقاط أساسية، وهي[1]:

1-إما لتنبيه السامع على موقعه.

2-أو لإغنائه لأن يُسال.

3-أو لأن لا ينقطع كلامه بكلامِه.

4-أو للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ.

ففي الأهمية الرابعة ملاحظة تتعلق بمبادرة جواب المتكلم قبل سؤال السامع لضمان الاستمرار في الكلام. فالمتكلم له سلطة الكلام، وذلك عن طريق تنبئه بإمكان إثارة الكلام المقول استفهاما في ذهن السامع.

إنّ استعمال "ابن أبي عون" تقنيتي السؤال والجواب في مادته لضمان التواصل بينه وبين متلقيه، بعد أن استطاعت هذه التقنية ضمان التواصل بين أطرافها الأصليين. «ففعل السؤال

[1] ينظر: محمّد خطابي: **لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب**، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1991، ص115-116.

يعكس هاجس ثقافة السؤال وهاجس اللغة التي بها الحوار وبها السؤال وبها الجواب».[1] يقول ابن أبي عون في مقدمة كتابه:«**أعزّك الله – استحسانك... جواب إذا كانت الإصابة فيه والحجة معه والبلاغة... والإيجاز قصد صاحبه. ولعمري، لقد استحسنت ما يفضل أهل البلاغة ويسبق إلى البديهة به أهل الذكاء والفطنة وقرب المأخذ في الاحتجاج على الخصم وإيقاع الجواب على المبتدئ بالسؤال وإفحام المشاغب عن معارضه بالحجاج، وخاصة إذا طبق الجواب المعنى وأغنى عن الإعادة، كان الابتداء والجواب كالمثاقبة بالآلة والحمل في المعركة...**»[2]، فالحجاجية منوّطة بالعلاقة القائمة بين السؤال والجواب. وهذا هو الأساس الذي بنيت عليها سواء الأجوبة في الخطابات الساخرة أو في خطاب "الأجوبة المسكتة" ككل. فالقضية إذا «تعمل عمل الفتح على الحجاجية، لأنّها مستخرجة من البنية الأصلية للغة (سؤال/جواب) كبنية للنشاط الاجتماعي كعلامة على الاختلاف والتفكير وآلية للإبداع والإيجاد، فبين السؤال والجواب مسافة أنطولوجية تصطبغ باللّغة وتعكس المسافات التي يتمّ التّفاوض حولها داخل اللّغة إلى غاية الوصول إلى محوها وإلغائها، ومنه تظهر الحقيقة ويختفي الإشكال».[3]

تعدّ الخطابات الساخرة في "الأجوبة المسكتة" وليدة الأطر الفكرية والاجتماعية والسياسية التي لم يستطع "ابن أبي عون" تجاوزها، فهذا جعله يميل بشدّة إلى التعبير عن

---

[1] هاجر مدقن: **حجاجية المثل التواصيلي في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع، مقاربة تداولية**، رسالة دكتوراه، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ص210.

[2] إبراهيم ابن أبي عون: **الأجوبة المسكتة**، مقدمة التح، ص3.

[3] عمارة ناصر: **الفلسفة والبلاغة، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي**، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2009، ص88.

تجارب الحياة الإنسانية بصورة الحكم والأمثال والأقوال المأثورة والأخبار الموجزة...، معتمدا في ذلك على الأجوبة الساخرة المستندة على ظاهرة المفارقة في الحوار لتنبيه المتلقي وإيقاظ عقله عما يحدث من حوله، وتحفيزه على التأمل وتنشيط فكره في موضوع المفارقة.

2- السخرية وخطاب المفارقة:

المفارقة في "لسان العرب" لابن منظور هي من:«فارق الشيء مفارقة وفراقا، باينه. والاسم الفرقة، وتفارق القوم: فارق بعضهم بعضا، وفارق فلان امرأته مفارقةً وفراقاً أي باينها».[1] وهي؛ رأي مخالف للرأي الشائع أو رأي الإجماع، فالمفارقة هي الفرق والتفريق والفرقة والابتعاد والتباعد والفصل والانفصال بين أمرين.

كما جاءت المفارقة في معجم "**أوكسفورد المختصر**" Concise Oxford Dictionary": «إما أن يعبّر المرء عن معناه بلغة توحي بما يناقض هذا المعنى أو يخالفه، ولا سيما بأن يتظاهر المرء بتبني وجهة نظر الآخر، إذ يستخدم لهجة تدل على المدح، ولكن بقصد السخرية والتّهكم، وإمّا هي حدوث حدث أو ظرف مرغوب فيه، ولكن في وقت غير مناسب البتّة، كما لو كان في حدوثه في ذلك الوقت سخرية من فكرة ملائمة الأشياء؛ وإما هي استعمال اللغة بطريقة تحمل معنى باطنا موجهاً لجمهور خاص مميز ومعنى آخر ظاهرا موجها للأشخاص المخاطبين أو المعنيين بالقول»[2]. فالمفارقة ليست ظاهرة بسيطة الفهم، وهذا ما يراه دارس المفارقة "دي سي ميويك":«أن العقبة الرئيسية في طريق تعريف بسيط

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، ص120.

[2] خالد سليمان: **المفارقة والأدب**، ص14.

للمفارقة تكمن في أنها ليست بالظاهرة البسيطة لعدّة أسباب من بينها؛ قد تكون لكونها علامة منتجة لعدد غير محدود من العلامات»،[1] حيث يعرفها بأنها: «فن قول شيء دون قوله حقيقة».[2]كما أنّ المفارقة عند "نبيلة إبراهيم" هي:«تعبير لغوي بلاغي يرتكز على تحقيق العلاقة الذهنية بين الألفاظ أكثر مما يعتمد على العلاقة النغمية أو التشكيلية وهي تنبع من تأمّلات راسخة ومستقرة داخل الذات، فتكون بذلك ذات طابع غنائي أو عاطفي ولكنها تصدر أساسا عن ذهن متوقّد ووعي شديد للذّات بما حولها».[3]وللمفارقة محددات أهمها[4]:

- وجود مستويين للمعنى في التعبير الواحد: المستوى السطحي للكلام على نحو ما يعبر به والمستوى الكامل الذي لم يعبر عنه، والذي يسعى القارئ على اكتشافه.
- لا يتم الوصول إلى إدراك المفارقة إلا من خلال إدراك التعارض أو التناقض بين الحقائق على المستوى الشكلي للنص.
- لا بد من وجود ضحية في المفارقة. وصانع المفارقة له دور فعّال في تحديدها.

ويتضح هذا من خلال هذه الاستراتيجية:

صانع المفارقة ← البنية المفارقة ← متلقي واع للمفارقة

الثورة على معنى ←

[1] ينظر: دي سي ميويك: **موسوعة المصطلح النقدي**، المفارقة وصفاتها، الترميز الرعوية، تر: عبد الواحد لؤلؤة، مج4، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان،ط1993،1. ص18-19.

[2] المرجع نفسه، ص35.

[3] نبيلة إبراهيم: **المفارقة**، مجلة فصول، مجلة النقد العربي، مج07، ع3و4، أفريل، 1987، ص132.

[4] المرجع نفسه، ص133.

2-1- أوجه المفارقة:

ولكي يتضح لنا الأمر أكثر سنحاول شرح أوجه المفارقة من خلال تحديد الدارسين لها والذين اجتهدوا في تقسيمها وكلٌ قسمها على حسب رؤية معينة، ومنهم "ناصر شبانة" والذي جعلها في سبعة أنواع، بعد أن جمع بين هذه الاجتهادات واختصرها في: المفارقة الدرامية والمفارقة اللفظية والمفارقة الرومانسية والمفارقة السقراطية والمفارقة البنائية ومفارقة السلوك ومفارقة النغمة وزيادة على هذه المفارقات السبع، ندرج مفارقة أخرى لم يذكرها "ناصر الشبانة" وقد ركّز عليها "دي سي ميويك" وهي: مفارقة الموقف (الحدث).

ومنه؛ سنحاول التركيز على أهم أنواع المفارقة الأكثر بروزا، وكيف تجلّت في الأجوبة الساخرة، ومنها:

2-1-1- **المفارقة اللفظية:** «دال يؤدي مدلولين نقيضين أحدهما قريب نتيجة تفسير البنية اللغوية حرفيا، والآخر سياقي خفي يجهد القارئ في البحث عنه واكتشافه. حدوثها متعلق بالقصد الفعلي للمرسل. ولهذه المفارقة نمطان تتميز بهما: المفارقة الهادفة والمفارقة الملحوظة»،[1] وهي عند "دي سي ميويك" «انقلاب في الدلالة».[2] ففي عنوان "الأجوبة المسكتة"، مفارقة جليّة تقدم تناقضا ظاهريا، قدمت هي الأخرى «آلية تعين المبدع من الانفلات من دائرة المباشر والبساطة، والدخول في آفاق الضبابية الجمالية، والشفافية

[1] ينظر: ناصر شبانة: **المفارقة في الشعر العربي لحديث**، أمل دنقل، سعدي يوسف، محمود درويش نموذجا، ط1، المؤسسة العربية للدراسات، دار فارس للنشر والتوزيع،عمان، الأردن، 2002، ص65.

[2] دي سي ميويك: **موسوعة المصطلح النقدي**، ص147.

البعيدة».[1] فالجواب إذن عكس اللاجواب. فهو تناقضُ ظاهريٌ يقدم آلية تعين المبدع من الانفلات، واللاجواب هو السكوت وعدم الرد. وهذا الأخير وفي هذه الحالة، يعني به عدم قدرة الرد على الجواب لقوة افحامه على الخصم. وتتواصل هذه العملية لتصبح خاصية كل جواب. وتنطلق قراءة النص من الجملة الاسمية المكوّنة من مبتدأ وخبر له، ونعرف أن غرض الجملة الاسمية عادة بأنّها تفيد الخبر عن شيء ما أو تصف حالته. فالأجوبة (الموصوف) المسكتة (صفة)، تحمل مفارقة للدلالة عما يحتويه النص. أما عنواننا "الخطابات الساخرة" هو الآخر يحيلنا إلى أنه صفة وموصوف، يشكل لنا مفارقة للعنوان العام فيكون الخطاب الساخر صفة والخبر تابعٌ لـ "الأجوبة المسكتة". وحتى يتجلى لنا الأمر أكثر:

وما ورد في الأجوبة الساخرة: إذ يقول ابن أبي عون: **قيل لأعرابيّ: فلان فارس. فقال: والله لو ركب حائطا لخاف أن يجمح به.**[2] ففي هذه المفارقة انقلاب في المعنى وتخلخل الصورة، فالركوب عادة يكون فوق شيء، فلفظة الحائط هي التي بدورها غيرت موازين المعنى.

2-1-2-المفارقة الدرامية:«وهي الاعتماد على بنية العمل أكثر من اعتمادها على علاقة الكلمات. وهي النطق بمعنى الشيء المخالف عن المعنى الأول لهذا

[1] د.علاء الدين أحمد الغرايبية: **المفارقة في الخطاب الساخر أحمد حسن الزعبي أنموذجا**، كلية الأدب-قسم اللغة العربية، جامعة الزيتونة الأردنية الخاصة، ص3، نقلا عن، سامح الرواشدة، **فضاءات الشعرية**، المركز القومي للنشر، الأردن، 1999، ص13.

[2] إبراهيم بن أبي عون: **الأجوبة المسكتة**، ص158.

الشيء.وترتبط هذه المفارقة ارتباطا وثيقا بالمسرح، كما تُعرف بالتهكم الدرامي».[1] من أمثلتها:

تكلّم رجل بحضرة معاوية فهذر، ثمّ قال: أسكتُ يا أمير المؤمنين؟ قال: وهل تكلّمت؟. ثمّ أقبل على بعض جلسائه، فقال: أما ترى تعثّر لسانه بكلامه، وتعثّر كلامه بلسانه؟.[2]

2-1-3-المفارقة السقراطية:«وهي إظهار نقيض الشخصية والحماس للتعلّم والاستعداد لقبول الطرف الآخر الذي يظهر بعد التمحيص والجدل ذي الرأي الخاطئ... لكشف خطط الخصم وأهدافه».[3] وسميت كذلك نسبة للفيلسوف اليوناني "سقراط" الذي كان يلجأ إلى إخفاء شخصيته العالمة الحقيقية والتظاهر بالجهل والسذاجة. وقد ورد هذا النموذج في قوله: **دخل عمارة بن حمزة على المنصور، فقعد في مجلسه، وقام رجل إلى المنصور، فقال: مظلوم يا أمير المؤمنين. قال: من ظلمك؟ قال: عمارة غصبني ضيعتي. فقال المنصور: قم يا عمارة فاقعد مع خصمك. فقال: ما هو بخصم. قال: إن كانت الضيعة له فلست أنازعه، وإن كانت لي فهي له ولا أقوم من مجلس قد شرّفني أمير المؤمنين بالرفعة إليه لأقعد في أدنى منه بسبب ضيعة.**[4]

---

[1] ينظر: ناصر شبانة: **المفارقة في الشعر العربي الحديث**، ص 66-67.

[2] إبراهيم بن أبي عون: **الأجوبة المسكتة**، ص15.

[3] ناصر شبانة: **المفارقة في الشعر العربي الحديث**، ص70.

[4] إبراهيم بن أبي عون: **الأجوبة المسكتة**، ص22.

2-1-4-المفارقة البنائية (التركيبية): «وهي توظيف شخصية ساذجة في المسرح أو متكلم بالنيابة في المقالة أو القصة، استخداما يؤدي بالقارئ أو السامع إلى تصحيح ما تقوله تلك الشخصية».[1] لتأكيد وتدعيم بنية الدلالة في النص، معتمدة في ذلك على «معرفة مقصد المؤلف الساخر، الذي من نصيب المستمع، ولكنه مجهول عند المتكلم».[2]نحو قوله:

جاء رجل يطلب الشعبي في منزله، فقيل له: قد خرج من امرأة إلى المسجد. فجاء فوجدهما في الطريق، فقال: أيّكما الشعبي؟ فقال الشعبي: وأشار إلى المرأة: هذه.[3]

2-1-5-مفارقة الموقف (الحدث): وتسمى أيضا مفارقة السياق لارتباطها الوثيق بها، يقول "دي سي ميويك":«يرى"كير كيجارد" أنّ المفارقة لا توجد في الطبيعة أمام امرئ طبيعي بل إنها لا تعرض نفسها إلاّ لمن كان له ميل في مجال المفارقة».[4] فيقول ابن أبي عون: **قال بعض الكذّابين: كان لأبي منقاش، اشتراه بعشرين ألف درهم. فقيل له: كان من الجوهر أو مكللا بجوهر؟ فقال: لا، قالوا: فقد أمكن الله منك. قال: ولم أمكن الله مني؟ كان هذا المنقاش إذا نُتف به شعرة بيضاء عادت مكانها سوداء.**[5]

لقد تعدّدت أوجه المفارقة في الخطابات الساخرة، فأحدثت أثرا كبيرا في مثل هذه النصوص؛ وممارسة هذه الأساليب البلاغية تعد انتقالا من الآلية المباشرة والحرفية إلى

---

[1] محمد العبد: **المفارقة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة**، دار الفكر العربي، ط1994،1، ص71.

[2] المرجع نفسه، ص103.

[3] إبراهيم بن أبي عون: **الأجوبة المسكتة**، ص24.

[4] دي سي ميويك: **موسوعة المصطلح النقدي**، ص68.

[5] إبراهيم بن أبي عون: **الأجوبة المسكتة**، ص220.

الآلية غير المباشرة، لتصبح الحركية والتعبيرية يفجر الخطاب من خلالهما مكامنه، وتجلياتها تكون بارزة ابتداء من الوحدة الصغرى للنص التي عادة ما نجد فيها "الجمع بين المتناقضات"، إذ يعدّ العنوان المرآة التي تعكس الأفكار والمضامين العامة للنص. فهو العتبة الأولى للدخول إلى فحوى النص وأغواره العميقة.

يبادر "ابن أبي عون" في خطاباته باستعمال صيغة **الاستفهام** بين المخاطِب ثمَّ يجيب المخاطَب، فتتحقق العملية التواصلية فيما بينهما عن طريق **التّناوب** الذي يعدّ عنصرا مهما في عملية التواصل. وفي الخطابات الحوارية عادة ما نجد المرسل يستعمل صيغا تضمن لها استمرارية هذا الحوار، إلاّ أنّه وفي هذه الخطابات يركّز المرسل على بلوغ المقاصد بعملية تحاورية تعتمد على عنصر المفارقة، والذي بدوره يوجز من هذه العملية التحاورية، باعتماده على جملة أو كلمة أو حتى حرف، وفي حالات كثيرة قد يعتمد المجيب على "اللا لفظ" (أي الصمت) كردّ مفحم مسكت. ومن هذه الأمثلة نذكر:

- **اجتمع قوم بباب الأوزاعي يتذاكرون ورجل من كلب ساكت؛ فقال له رجل: بحقّ سمّيتم خرس العرب. فقال له: يا هذا، أما علمت أن لسان الرجل لغيره، وسمعه له؟**[1]
- **قيل للجاحظ: قد وضع جعفر بن حرب كتابا يردّ فيه على النظام. فقال ها هنا واضع له، وواضع به، فأيّما هو؟**[2]

[1] إبراهيم بن أبي عون: **الأجوبة المسكتة**، ص21.

[2] المصدر نفسه، ص150.

- **دخل ثمامة دار المأمون، وفيها روح بن عبادة، فقال له روح: المعتزلة حمقى؛ وذاك أنهم يزعمون أن التوبة بأيديهم، وأنّهم يقدرون عليها متى شاءوا، وهم دائبون يسألون الله أن يتوب عليهم. فما معنى مسألتهم إياه ما بأيديهم الأمر فيه إليهم لولا الحمق؟ فقال له ثمّامة: ألست تزعم أن التوبة من الله- جلّ ثناؤه- وهو يطلبها من العباد أجمع: فكيف يطلب منهم ما ليس بأيديهم ولا يجيدون السّبيل إليه؟.**[1]

يكمن غرض الاستفهام في إثارة انتباه السّامع عن طريق ما ينهي به جوابه، ليثير في نفسه سؤالا خطّط له ولِما هو مقبل عليه من الأمثال التي تسير وفق مخطّط معانٍ مرتّبة موضوعيا ومتداخلة حجاجيا، فجاءت بنية السّرد معظمها في الخطابات الساخرة في مستوى معين هو:

المستوى التّخلصي: وهو الانتقال من موضوع إلى موضوع آخر يجيب عنه، وتكون قصة أو خبر،يعتمد فيه على المثل أو الحكمة كآيي من القرآن الكريم، فكل مثل (حجة) يبدأ بقصة إطارية تتضمّن أمثالا أخرى ليتمّ معناها، وهذه الأمثال يستحضرها فعل السؤال، وبعد تمام هذا المعنى تبدأ قصة أخرى، وهي وإن بدت مستقلة عن سابقتها لكنّها نتيجة فعل سؤال دائما.[2] لكن دائما ما تكون هذه الأجوبة الساخرة حتى وإن كانت تتميز بهذا المستوى التخلصي، فهي ظاهرة تتسم بالإيجاز والوضوح والبساطة والتركيز. وأمثلته كثيرة، نذكر منها:

[1] إبراهيم بن أبي عون: **الأجوبة المسكتة**، ص153.

[2] ينظر: هاجر مدقن: **حجاجية المثل التوصيلي في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع**، مقاربة تداولية، ص212-213.

- **قيل لابن عمر: إنّ المختار يزعم أنّه يوحى إليه. قال: صدق، ﴿وإنّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم﴾ «الأنعام: 121».**[1]
- **نظر ديوجانس إلى رجل حسن الوجه يكذب، فقال: أما البيت فحسن، وأمّا السّاكن الذي فيه شيطان.**[2]

فهذه العلاقة إثبات لقول يناقض مع معلومة شائعة، مستندا إلى اعتبار خفي على هذا الرأي العام حتى يثبت ذلك. فهنا نكون قد وصلنا إلى ظاهرة تكسر صورة السخرية الموجودة في هذا الخطاب. والمفارقة حسب هذا السياق، هي التعبير عن معنى ما بمعنى آخر نقيض له، باللغة المناسبة، تحدث في وقت ليس مناسبا، وحدوثها يكون سخرية. معتمدة في ذلك على عناصر مقام (المرسل، والمرسل إليه، والرسالة).

[1] إبراهيم ابن أبي عون: **الأجوبة المسكتة**، ص19.

[2] المصدر نفسه، ص124.

المبحث الثاني: حجاجية التمثيل البلاغي وآلياته في الخطابات الساخرة:

إنّ البحث التداولي بالبلاغة الجديدة أثار إشكاليّة الحجاج من خلال بحث في الحجاج أو نقول البلاغة الجديدة لـ ."بيرمان" و"تيتيكا" اللّذين يؤكدان أنّ موضوع الحجاج هو «درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التّسليم،[1] فهما ينظران إلى أنّ التخاطب غرضه التأثير، فإنّ الحجاج تفاعل بين المتكلّم والمتلقي، ويكون ذلك بدراسة التّقنيّات البلاغيّة الحجاجيّة مثلا، والتي تسمح بتعزيز موافقة الأشخاص على القضايا التي تُطرح عليهم والمتعلقة بموضوع الحجاج.

والحجاج مفهوم متشعّب ومتلبّس على الدّارسين لتشعب مجالاته، إلاّ أنّ الغاية المثلى من كلّ تواصل إنساني متمثلة في التأثير على المتلقي ودعوتة إلى الإقناع والاقتناع بفكرة ما وتوجيه تفكيره الوجهة التي يبتغيها المتكلّم وتتوافق وآراءه، «وأنجح الحجاج ما وفق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتُها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه، أو هو ما وفق على الأقل في جعل السّامعين مهيئين لذلك العمل في اللّحظة المناسبة».[2] كما يعتمد الخطاب في الحجاج «على تقنيات مخصوصة لا تختص بمجال من المجالات دون غيره، فهي مطاوعة حسب استعمال المرسل لها، إذ يختار حججه وطريقة بنائها بما يتناسب مع السّياق الذي يحفّ بخطابه».[3] والمتكلّم يسعى دائما إلى تضمين

---

[1] حمّادي صمود: **أهم نظريّات الحجاج من أرسطو إلى اليوم**، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، ص299.

[2] صلاح فضل: **بلاغة الخطاب وعلم النّص**، عالم المعرفة، الكويت، 1992، ص74.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري: **استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية**، ص476.

الخطابات دلالات غير حرفية تضمن له التأثير والإقناع، وذلك عن طريق استعماله للمجاز الذي يُعدُ من طرائق إثبات المعنى وإقامة دليل عليه، والمجاز يعوّض الحقيقة في تصوير المعنى وتقديمه تقديما حسنا دون أن ينتج عن عمليّة التّعويض هذه تغيّرٌ في المعنى الحقيقي».[1]ومنه؛ فإنّ البلاغة والتّداوليّة تشتركان في اعتماد التأثير على المتلقي وجعله يقبل الأطروحة بل ويذعن لها، وهذا ما جعل "ليتش"Leech يصل بين البلاغة والتداوليّة فيقول:«أنّ البلاغة تداوليّة في صميمها إذ إنّها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع، بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محدّدة للتأثير عن بعضهما».[2]

1- المقاصد البيانية:

لقد اهتم العلماء والدارسين أمثال "سيرل" بالصورة البيانية- باعتبارها مبحثا بلاغيا- التي تتأتى من خلالها الأفعال غير المباشرة من خلال الاستعارة أو التشبيه أو الكناية كفروع لعلم البيان في اللغة. وهذا الأخير يقوم بصياغة القواعد التي تحكم إنجاز الفعل الكلامي بطريقة غير مباشرة بقول تشبيهي أو مجازي أو كنائي يعبّر عن شروط صدقه هذا القول. وهذا يعني أن الانتقال من معنى الجملة إلى معنى المتكلم لا يتم في مستوى بنية الفعل الإنجازي بل في مستوى البنية الدلالية إلى المحتوى القضوي؛ ومن ثمَّ تكون وظيفة العبارات البيانية المختلفة إنجاز الأفعال غير المباشرة، وموّضحة لها[3]. لذلك يعدُّ استعمال الصور

[1] عبد الله صولة: **الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية**، ط2، دار الفرابي، بيروت، 2007، ص459.

[2] صلاح فضل: **بلاغة الخطاب وعلم النّص**، ص97-98.

[3] ينظر: علي محمود حجي الصّراف: **الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة**، ص144.

البيانية غرض استغلال ما فيها من طاقات حجاجية لإثبات قول أو نفيه. وفي دراستنا هذه سنحاول استخراج بعض الشواهد التي تخلّلتها الصورة البيانية من وتشبيه واستعارة وكناية.

1-1-حجاجية التشبيه:

التشبيه هو مقارنة بين شيئين يمتلكان صفة مشتركة، ولكن أحدهما أقوى في هذه الصفة مما يجعله في مقام المشبه به، والطرف الآخر هو المشبه، وتربط بينهما أداة تشبيه ملفوظة أو ملحوظة. وعرّفه العلماء بأنّه الدّلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى، وأركان التشبيه هي: المشبّه، والمشبّه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه، والمشبّه به يجب أن يكون أقوى وأوضح من المشبّه. كما ينقسم التشبيه لنوعين أساسيين هما التشبيه المفرد، وهو تشبيه شيء معين بشيء آخر، والتشبية المركب، وهو تشبيه صورة أو حالة معينة بصورة أو حالة أخرى.«ويستخدم المتكلم أسلوب التشبيه لإنجاز فعل غير مباشر بعد أن يقوم برصد السّمات الدلالية لكل مفردة في معجمه الذهني، ومقابلة كل واحدة بالأخرى، وإسقاط جميع السمات، ويعود ذلك إلى أنّ علاقة المشابهة والمماثلة تفترض أن يكون هناك شيئان: أصل وفرع، ولضبط العلاقة بينهما يُحلّل الأصل إلى مكوّناته أو مقوّماته أو صفاته الذّاتية والعرضية فيختار بعضا منها لإسقاطه على الفرع، على أن ما يسقط يجب أن يكون جامعا متّفقا عليه بأنّه وصف منضبط»[1]. يقول ابن أبي عون: **قيل لابن عمر: إنّ المختار يزعم أنّه يوحى إليه. قال: صدق، ﴿وإنّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم﴾ «الأنعام:121».**[2]

[1] د.علي محمود حجي الصّراف: **الأفعال الكلامية في العربية المعاصرة**، ص149.

[2] إبراهيم بن أبي عون: **الأجوبة المسكتة**، ص19.

لقد شبّه المرسل في هذا المقام صورة وحي للمختار بصورة وحي الشّياطين لأوليائهم، وذلك لاتفاقهما في وجه الشبه المحذوف بحيث يفهمه المتلقي من خلال سياق الحديث وبمعرفته القبلية لحقيقة الشياطين ووحيهم لأوليائهم بكل ما يحملون من الشر والكذب والبهتان العظيم بحيث أصبح التشبيه تشبيها بليغا، فحذفت بذلك أداة التشبيه ووجه الشبه، وفيه نشهد إفحام المتكلم بالحجة المقنعة. ويمكن تمثيل المسار الحجاجي لهذا التشبيه في السلم الحجاجي التالي:

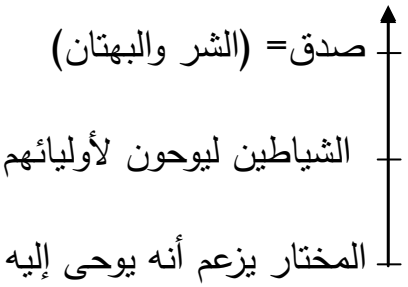

قيل لطاليس: أي الحيوانات لا يشبع؟ قال: الإنسان الذي يربح.[1] في هذا الصورة نجد الشاهد يحمل صورة بيانية، وهي تشبيه مؤكد حيث شبّه المتكلم (الإنسان) (بالحيوان) وجعلهما في نفس المرتبة لاشتراكهما في وجه شبه واحد وهو (يشبع). حيث يحمل دلالة ضمنية تمثّلت في أنّ الإنسان الذي مهما زاد تحصله للأشياء في حياته سيظل شجِعا ويطلب الأكثر حتى يجد نفسه قد تجرد من منزلته إلى منزلة أقل. فاللاقناعة للأرباح هي التي يصل إليها الإنسان في نظر المتكلم كحجة دامغة لتجعل منه حيوان، والمسار

[1] إبراهيم بن أبي عون: **الأجوبة المسكتة**، ص116.

الحجاجي لهذا التشبيه:

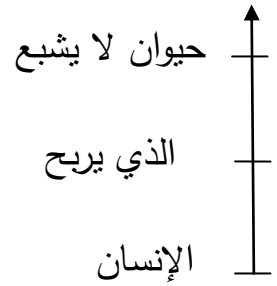

1-2-حجاجية الاستعارة:

لقد اهتم الفلاسفة والمناطقة والبلاغيون والنّقاد قديما وحديثا بالاستعارة اهتماما خاصا، ليس لأنّها تندرج ضمن مفهوم المجاز فحسب، وإنّما وصفها ناقلة للمعنى من حيّز إلى آخر ضمن مشروطية الاشتراك بينهما بآلية استبدالية. ومن هذا المشترك برزت علاقة المشابهة فيها بين المستعار منه والمستعار به، إذ يتمركزان على آلية الجمع التي تقضي بنا إلى التّخييل ثم التأثير فالإقناع. ومن هنا عُدّت الاستعارة وسيلة تواصلية في الخطاب، ذلك لجودة التشبيه وأسسه من عنصر التّفصيل والتحليل كما ذكرها البلاغيون. «إذ التشبيهات التي تبنى على هذا الأساس من النظر المستقصي، وتحليل الشّيء الذي يكون الشاعر بصدد بيانه، سواء في ذلك ما كان أوصافا لأشياء حيّة أو كان تحليلا لأفكارها وأحوالا ومشاعر تشبيهات جيّدة»،[1] ولا سيّما أنّها من أهم الخصائص للخطاب الحجاجي إذ أصبح ينظر إليها كآلية من آليات الإقناع ضمن الوجهة الحجاجية للخطاب. إذ هي مجاز لغوي علاقته المشابهة، وهي تشبيه حُذف أحد طرفيه، وهي قسمان؛ تصريحية، ومكنية. وقد تنوّعت الاستعارة بتنوع الموضوعات التي دار حولها هذا الكتاب من مواضيع تتعلق بحياة

[1] محمد أبو موسى: **التصوير البياني**، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1993، ص138.

الإنسان الاجتماعية والسياسية والفكرية والدينية، وذلك بحسب المصادر التي استشفّ منها "ابن أبي عون" وكذا المقاصد التي سيقت لأجلها. نظرا لتوجه الكاتب الفلسفي في تحليل أفكاره والاحتجاج لأطروحاته، فإنّ هذه الاستعارات لم تتجاوز الإنسان وطبيعته، فاستقت أهم خصائص حياته. يقول ابن أبي عون: **قال بعض المتكلمين لرجل حدّثه بحديث: أعد عليّ حديثا سمعته منك. قال: أيّما هو؟ قال: كأنّك أردت أن تعلمنا غزارة علمك، ما أظنّك تحفظ غيره.**[1] في هذا الشاهد استعار المرسل بدال (غزارة) لمدلول (علمك)، فشبّه العلم بالأمطار، وحذف المشبه به، تاركا لازما يدل عليه على سبيل الاستعارة المكنية، ويمكن تمثيل المسار الحجاجي لهذه الاستعارة في السّلم الحجاجي التالي:

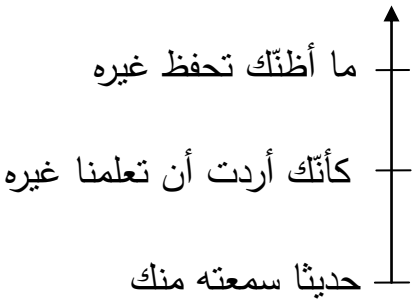

«**وقف جَدْي على سطح، فمرّ به ذئب، فأقبل الجدي يشتمه، فقال له الذئب: ليس أنت الذي تشتمني، إنّما المكان الذي أنت فيه**».[2] تتجلى الاستعارة في هذا الشاهد في: تشبيه الذئب المكان غير العاقل بالعاقل، حيث شبّه المكان بالمخلوق الناطق الذي يتكلم ويشتم، وحذف المشبّه به، وترك قرينة تدل عليه (الشتم). وذلك على سبيل الاستعارة

[1] إبراهيم بن أبي عون: **الأجوبة المسكتة**، ص145.

[2] المصدر نفسه، ص125.

المكنية، وهي قرائن مجازية تخييلية. تحيلنا إلى فهم المعنى المسكوت عنه من طرف المرسل، وهو كناية عن صفة (الجبن) التي يتسم بها الشاتم، ومنه؛ فالمسكوت عنه (إذا أنت جبان) هو نتيجة لما آل عليه الأمر. وهنا تظهر أهميّة استثمار عناصر السّياق لنقل قصد المرسل عند إنتاج الخطاب، ومن خلال المسار الحجاجي للمتكلم سيتضح لنا هذا المقصد، بحيث:

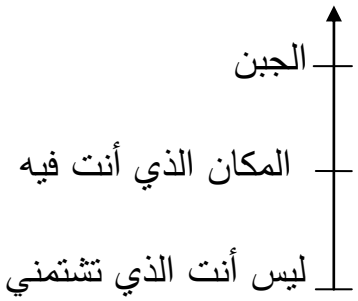

«يبدو أنّ التداولية هي تفاعل النظر الاستعاري بالممارسة الفعلية، كما تظهر كذلك في أهمية السياق في فهم دلالاتها الاستعارية. وتتنوع وظائف الاستعارة داخل القول الحجاجي والعمليات الاستدلالية، حسب الأهداف لا في المتوخّات في استعمالها، فمنها ما هو متعلق بالقول الحجاجي نفسه كالتكثيف والتزيين، ومنها ما هو متعلق بالمتكلم كتغييب المسؤولية الواضحة عن القول، ومنها ما هو متعلق بالسامع كتحريك مخيّلته، ومنها ما هو متعلق بالمقام أو الواقع الخارجي كإبداع صور جديدة كمعالجة بعض القضايا والوقائع».[1]

ونلاحظ من خلال ما سبق في جمعنا لعدّة استعارات وتصنيفها في الخطابات الساخرة للأجوبة المسكتة؛ غلبة الاستعارات المكنية على الاستعارات التصريحية في التعبير عن

[1] هاجر مدقن: **حجاجية المثل التوصيلي في كتاب كليلة ودمنة**، عالم الفكر، ص420.

الأفعال الإنجازية غير المباشرة، فالاستعارة من خلال هذه الشواهد وغيرها هي وسيلة تؤثّر في المتلقي وتقنعه بالحجّة، لأنّها تتميّز بالقدرة على الفعل في المتلقي، وتضفي جمالا وسحرا على الكلام، بل إنّها أكثر حجاجية من القول العادي المباشر.

1-3-حجاجية الكناية:

عرّف "السكاكي" الكناية بقوله:«هي ترك الصريح بذكر الشيء، إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك، كقولك: فلان طويل النّجاد، لينتقل منه إلى ما هو ملزومه، وهو طول القامة، وسُميّ هذا النوع كناية، لما فيه من إخفاء وجه التصريح»،[1]فهي لفظ لا يقصد منه المعنى الحقيقي وإنّما معنى ملازما للمعنى الحقيقي، وتنقسم الكناية بحسب المكنى به إلى: الكناية عن صفة والكناية عن موصوف والكناية عن نسبة، ومن خلال تعريفنا للكناية يتّضح أنّها تعبر عن صورة ما أو حالة بصورة أو حالة غير مباشرة، «مما رشّحها لتكون إحدى الوسائل الفعّالة لإنجاز الأفعال غير المباشرة، فالجانب غير الصريح وغير المباشر سمة مشتركة بين الطرفين الكناية والأفعال غير المباشرة،(...) وعند حصر معنى ما، لا يكون المتكلم قد أنجز فقط الفعل الإنجازي غير المباشر، بل يكون المتلقي قد فهم هذا المعنى، واقتنع به تبعا لذلك بالفعل الإنجازي غير المباشر».[2] والخطاب الساخر غنيّ بهذه الصوّر والشواهد، حيث يقول ابن أبي عون: **قال قيس بن سعد لعجوز: ما حالك؟ قالت: ما في بيتي جرذ. قال: ما ألطف ما سألت، لأملأنّ بيتك جرذانا. وأمر لها**

[1] يوسف بن محمد السكاكي: **مفتاح العلوم**، تح: د.عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2000، نقلا عن: د. علي محمود حجي الصّراف: **الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة**، ص151.

[2] د.علي محمود حجي الصّراف: **الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة**، ص102.

بمال.[1] وهذا الشاهد لا يفهم إلاّ من خلال السياق الذي ورد فيه، وهو شاهد متعارف عليه، بحيث الجواب المفحم للعجوز هو وصف عن الحالة الاجتماعية التي تعيشها من فقر وجوع بطريقة هزلية ساخرة، جعلت المتكلم بعدها يعدها بملأ بيتها جرذانا، فهي كناية عن الفقر. ونستدل بهذا الفعل الكلامي من خلال الإشارة لهذه العلاقة:

ما في بيتي جرذانا ← قلّة الطّعام ← الجوع ← الفقر

فالسلّم الحجاجي التي تقوم عليها هذه الصورة:

ومن خلال ما سبق، يبدو أنّ للصورة البلاغية وظيفية جمالية إمتاعية، والفهم الواسع والعميق لهذه الصورة يجعلها تتجاوز هذه الوظيفة إلى وظيفة إيحائية، فهي تعكس المواقف والأفكار وتهدف إلى الإقناع والتأثير، فأهميتها تكمن في «طريقتها الحجاجية في تقديم المعنى وتأثيرها في المتلقي»،[2] وهذا الأخير يكون بتضافر قوة المتكلم الصّانع للصورة وقوة المتلقي المفكك لتلك الصورة الخفيّة. والتي هي نتاج تفاعل بين أطراف الخطاب (مرسل،

[1] إبراهيم بن أبي عون: **الأجوبة المسكتة**، ص170.

[2] جابر عصفور: **الصورة الفنيّة في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992، ص328.

ومرسل إليه)، «فهي عبارة عن كلام، جزء منه لفظ به المتكلم وصنعه وهو المصرح به، وجزؤه الآخر من صنع المتلقي وهو الضمني، وهذا النظام هو الذي يضمن للصورة حجاجيتها».[1] حيث تقوم هذه الصورة بـ:

1- تقريب المعنى وإيضاحه.

2- تأكيد المعنى وتثبيته.

3- إثارة انفعالات المتلقي.

4- التقويم.

5- الاستدلال.

إذن؛ فالاستراتيجية التوجيهية من الاستراتيجيات المباشرة وغير المباشرة التي يستعملها المرسل في خطابه، إذ يكون القصد فيها مطابقا مع دلالة الخطاب الحرفية وغير الحرفية، ومنه، فمقاصد المرسل تكون موضعية يدلّ عليها الشّكل اللغوي الظّاهر، يعتمدها ابتغاء الوضوح كما يتطلبه السيّاق. وقد تكون باطنية يدلّ عليها الشكل اللغوي الباطني بين الدال الظاهري والدال الضمني الخفي الذي لا يفهم إلا من خلال السياق. لذا فتوظيف المقاصد من المؤشرات التي تدلّ على كفاءته اللغوية والتداولية.

الإقناع في الخطابات الساخرة للأجوبة المسكتة لابن أبي عون لا يقتصر على المخَاطب المعاصر له آنذاك، بل قد يشمل القارئ المفترض المختلف باختلاف الزمان والمكان، وهذا ما جعل للكتاب أثرا أدبيا بخصائصه الفنيّة والأسلوبية ومضامينه التي احتواها

[1] عبد الله صولة: **الحجاج في القرآن الكريم من خلال خصائصه الأسلوبية**، ص642.

من حكم وعبر وأمثال اعتمدها "ابن أبي عون" كركيزة أساسية لبلوغ مقاصده لما تحويه من قوى تأثيرية وإقناعية وما تضمّنته بحسب السيّاق، فتكون مصنّفة ضمن التداوليّة التخطابية، والسياق إذا هو الذي فرض عليه ذلك بأن تأتي حججه بهذا الشكل، لكي تكون أكثر إفادة وأكثر إقناعية تبلورت من خلال مقصديّته التي تعد الهدف الرئيسي للعملية التخاطبية، فيجملها ابن أبي عون في: الغرض الحجاجي، الغرض التوجيهي، الغرض التعليمي، والغرض الأخلاقي.

2-الرّوابط الحجاجية:

يتحقق الحجاج في اللغة عبر مؤشرات لغوية تساعد على تنامي الحجاج من أدنى إلى أعلى السّلم أو من أعلاه إلى أسفله، حيث تكون في الأقوال علامات لإسناد الوظيفة الحجاجية للقول، وهذه العلامات هي روابط لغوية تحدد الاتجاه الحجاجي «فإذا كان القول أو الخطاب معلما أي مشتملا على روابط وعوامل حجاجية، فإنّ هذه الأدوات والروابط تكون متضمنة لمجموعة من الإشارات والتعليمات التي تتعلق بالطريقة التي يتم بها توجيه القول أو الخطاب»[1]. والروابط الحجاجية عنصر مهم في تماسك النص، وقد حظي باهتمام العلماء في الدراسات اللغوية القديمة، أما عند الغربيين فانطلقت مع أعمال "أوستين" و"سيرل" وغيرهما، ويعرفها "تمام حسان" على أنّها: «قرينة لفظية تعمل على اتّصال أحد المترابطين بالآخر»،[2] فهذا التعريف بيّن قيمة الرابط وأهميته وذلك لأمن أيّ خلل في فهم القصد، كما

[1] أبو بكر العزاوي: **الحجاج في اللغة**، مجلة المنارة، من موقع: http://www.almanarah.com.

[2] تمام حسان: **اللغة العربية معناها ومبناها**، دار الثقافة، المغرب، 1994، ص213.

أنّ لهذه الروابط دور فعال في «تغيير المقدمة وبالتالي تغيير النتيجة»[1]. كما اعتبرها "أبي بكر العزّاوي" بأنها الأدوات التي تسمح بالربط بين المتغيرات الحجاجية أو مجموعة من الحجج، فيقول: «هي روابط تربط بين قولين أو حجتين على الأصح أو أكثر، وتسند لكلّ قول دورا محدّدا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة»،[2] ومن هذه الأنواع (الواو، الفاء، لكنّ، إذن، بل، إذ، لأنّ، بما أنّ، لاسيّما، الكاف...إلخ).

يتوفر الخطاب الحجاجي في الأجوبة المسكتة الساخرة على مجموعة روابط تتفرد كل منها بدلالتها وأثرها المتكون بين الحجة والنتيجة، إذ أننا سنحاول التمثيل لها من خلال الروابط التي تكون بين الحجج الفرعية في الجمل والعبارات التخاطبية الحجاجية الداخلية وهي كثيرة، ويمكن التمثيل لها بعدّة شواهد، نذكر منها:

الطّـرح	الرابـط	الحجّـة
لأنه من تكون أنت أباه (ج55)	الفاء + إنّ	يتيم
ما أعرف له قيمة إلاّ مطرة نيسان (ج708)	الفاء	إنّها تُصلح من معاش الرّعية

[1] عمر بلخير :**تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية**، ص124.

[2] أبو بكر العزاوي: **اللغة والحجاج**، ط1، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص27.

فقال له الذئب: ليس أنت الذي تشتمني (ج762)	إنّما	المكان الذي أنت فيه.
نحن (ج1335)	كما	قال الله تعالى:﴿ سمّاعون للكذب أكّالون للسحت﴾.
لأنا (ج915)	أشبه	منك بأبيك
من قبل أنّى رأيت من لا ولد له (ج898)	الفاء	هو عقيم، وهي صفة ذمّ والذّم منفى عنه.
لا رضيت (ج1281)	حتى	يلج الجمل في سمّ الخيّاط.
فإنّها تُصلح من معاش الرّعية ما تكون قيمته (ج708)	مثل	مقدار ثمن تاج الملك.
بلى (ج968)	ولكن	إذا انقطع وصلناه.
اسكت (ج1044)	حتى	نسكت
باطنك (ج1147)	مثل	ظاهرك

إنّ الخطابات الساخرة التي اختارها "ابن أبي عون" على غيرها، تنضوي على أمثال

وحكم، معظمها يدور في حلقة الذّم، والتّهكم، والتّحقير، والاستهانة...، وجاءت هذه الأغراض نظرا لما كانت تمليه الظروف المعاشة آنذاك (العصر العباسي)،فالردّ على الخصوم بهذه الجوابات أكثر إفحاما وإقناعا،ضمن قوالب نثرية تبسط المقصد في تعليم الناس وتوجيههم. وحتى ترسخ هذه الحكم بسهولة في ذاكرة الناس وتبلغ مقصد التأثير والإقناع على المتلقي المتردّد، قد وردت في معظمها مؤكّدة استحسانا بأدوات توكيد مثل "إنَّ" و"لام التوكيد"...، فمعاملة المخاطِب لهذا المخاطَب الشاك، أو حتى أنه قد يكون منكِرا، منزلة المخاطب الجاهل بالخبر، تعود للمقام الذي أنجز فيه هذا الخطاب –الخطاب الساخر– واستلزمه، نظرا للظروف السياسية والاجتماعية حينها. كما أنها وردت مؤكدة بالصورة التي يقدمها المتكلم لإفحام خصمه، المتمثلة في تقديم أخبار ووقائع قِبلية يستند إليها في كلامه ليوضح مقصده، بحيث لا يفهم القارئ أو السامع هذا الجواب ما لم تكن له معرفة لهذه الأقاويل،والمتمثلة في الأمثال، والحكم، والقصص معتبرة، في فترة زمنية سابقة.

المبحث الثالث: الفعل الكلامي والقصد التوجيهي:

إنّ البحث في الأفعال الكلامية بحثٌ في جوهر التداولية اللغوية، ولا يتضح هذا المفهوم إلا بالرجوع إلى "نظرية الأفعال الكلاميّة" التي طوّرها "سيرل"، بعدما أسسها أستاذه "أوستين" «الذي كان بدء الحديث عن الأفعال الكلامية عنده هو بداية الحديث عن التداوليّة، فاتضح الارتباط بين الموضوعين»[1]. ثم أعطاها "سيرل" صبغتها النموذجية النهائية، التي تهتم بالمضامين والمقاصد التواصلية.[2] فالفعل الكلامي يراد به الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معيّنة، ومن أمثلته: الأمر، النهي، الوعد، السؤال، التعيين، الإقالة، التعزية، التهنئة...، فهذه كلها أفعال كلاميّة، لا يُنظر إليها على أنها مجرد دلالات ومضامين لغوية، وإنما هي فوق ذلك إنجازات وأغراض تواصلية ترمي إلى صناعة أفعال ومواقف اجتماعية أو مؤسساتية أو فردية بالكلمات والتأثير في المخاطب، بحمله على فعل أو تركه أو دعوته إلى ذلك، أو تقرير حكم من الأحكام، أو توكيده أو التشكيك فيه أو نفيه أو وعد المتكلم للمخاطب أو وعيده أو سؤاله واستخباره عن شيء أو إبرام عقد أو فسخه أو الإفصاح عن حالة نفسية معينة...، فمن منظور "نظرية أفعال الكلام" لا تكون اللغة مجرد أداة للتواصل أو رمزا للتعبير عن الفكر، وإنما هي أداة لتغيير العالم والتأثير فيه وصنع أحداثه.[3]«إذ الفعل الكلامي عند "أوستين" مركب من أفعال قوليّة، بحيث يتوسل بها تحقيق أغراض إنجازية (...) تخصّ ردود فعل المتلقي، ومن ثمّة فإنّه يطمح أن يكون ذا تأثير في

[1] د.علي محمود حجي الصّراف: **الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة تداولية**، ص22.

[2] ينظر: طه عبد الرحمن: **اللسان والميزان او التكوثر العقلي**، ص260.

[3] ينظر: مسعود صحراوي: **التداولية عند العلماء العرب**، ص10-11.

المخاطَب، ثمّ إنجاز شيء ما».[1] والأفعال الكلامية إنجاز تواصلي لما له من وظيفة حجاجية، مرتبطة بتحقيق التأثير والإقناع الذي يتوخّاه المخاطَب نفسيا أو سلوكيا. فالقصدية ها هنا منوّطة على أن تقيم الصّلة بين المتخاطبين من جهة، وبين الكلام وإنجازه من جهة أخرى.

«وللفعل الكلامي وظائف تداولية مرتبطة بقصد المخاطب، ومن أهمّها وظيفته الحجاجية التي تزيد من فاعليته الإنجازية التي أرادها له "أوستين" و"سيرل"، ولا سيما تلك المرتبطة بوظيفتي التأثير والإقناع»[2]، كما أنّ الفعل الكلامي لا ينجح إلا بتحقيق التأثير على المستمع وإقناعه فإنجازه لما يبتغيه المتكلّم. والأجوبة المسكتة الساخرة لابن أبي عون باعتبارها نصوصا سردية تأثيرية وإقناعية، ففي معظمها تحمل معاني ضمنية غير مباشرة لا تفهم إلاّ من خلال السياق الذي وردت فيه. وتعرض مجموعة من العلماء والباحثين إلى تعريف الأفعال الإنجازية غير المباشرة وفقا لرؤية "سيرل" المطوّرة عن فكرة أوستن ومن هذه التعريفات: «الأفعال ذات المعاني الضمنية التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسياق دخلا في تحديدها والتوجيه إليها، وهي تشتمل على معان عُرفية وحواريّة. وفي تعريف آخر، هي القيام بفعل ما داخل في القول بواسطة فعل آخر داخل في القول، فالفعل الأول يسمى فعلا كلاميا غير مباشر».[3] ولفهم هذا النوع من الأفعال الإنجازية في الأجوبة الساخرة سنتطرق إلى أنواعها والتمثيل لها بالصور والشواهد الملائمة لها.

---

[1] مسعود صحراوي: **التداولية عند العلماء العرب،دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلام**، ص55.

[2] طه عبد الرحمن: **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**، ص260.

[3] علي محمود حجّي الصراف: **الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة**، ص124.

1- الأفعال الإنجازية غير المباشرة:

يكاد يتفق العلماء الغرب والعرب القدماء والمعاصرون على أنّ الأفعال الإنجازية غير المباشرة يتم التعبير عنها إما من خلال علم المعاني وما يتضمنه من فروع تخضع دلالة صيغها وأساليبها للتغيير والخروج عن المعنى الحرفي لمعنى آخر أو إضافي، أو من خلال الصور البيانية التي يقدمها علم البيان من خلال العبارات المختلفة[1]، وهذه الأنواع يتم تداولها من خلال مستويات معيّنة هي: الوحدات المعجمية وشبه المعجمية، العبارات والجمل، والبنى النصيّة الكبيرة.

1-2-خروج الخبر عن معناه الأصلي:

قد يخرج الخبر عن معناه الحقيقي إلى معنى مستلزم يتلاءم وسياق الكلام فيؤدي بدوره إلى معان جديدة. وفي"الخطاب الساخر" في "الأجوبة المسكتة" يحمل الخبر في معظمه غرضا يتناسب مع مقاصد "ابن أبي عون" الإخبارية التوجيهية، كانت هي الأكثر حضورا، ألا وهي قصد النصح والإرشاد للتعليم والتوجيه...، وسنحاول التطرق إليها من خلال بعض النماذج لنرى إلى أي غرض تخرج. يقول "ابن أبي عون":

الخـــبر	غرضـه
قال رجل من أهل الحجاز لابن شبرمة: من عندنا خرج العلم قال: ثم لم يعد إليكم. (ص8)	الذّم

[1] علي محمود حجّي الصراف: **الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة** ، ص140.

قال المنصور: من بركتنا على المسلمين أن الطاعون رُفع عنهم في أيامنا، فقال ابن عيّاش: لم يكن الله ليجمعكم علينا والطاعون.(ص8)	الذم
قال معاوية لعقيل، وكان عجيب الجواب: إنّ فيكم يا بني هاشم لشبقا. فقال: هو منّا في الرّجال ومنكم في النساء.(ص8)	الذم
قال رجل من ولد إبن موسى لشريك: أكان عليّ يقنط في الفجر؟ قال: نعم، ويلعن أباك.(ص9)	التهكم
ظهر إبليس، لعنة الله، لعيسى عليه السّلام، فقال له: ألست تقول إنه لن يصيبك إلا ما كتب الله عليك؟ قال: نعم. قال: فارمِ نفسك من ذروة هذا الجبل، فإنّه إن يقدّر لك السلامة تسلم. قال له: يا ملعون، إنّ لله أن يختبر عباده وليس للعبد أن يختبر ربّه.(ص14)	الاعتراض
ذكر المبرد: أن رجلا جاء إلى عامل للمنصور ولاّه الإجراء على القواعد من النّساء، اللواتي لا أزواج لهنّ. وعلى العميان والأيتام، فقال له: أعزّك الله، أن رأيت أن تثبيتي	التهكم والتحقير

مع القواعد. قال: القواعد نساء، كيف أثبتك فيهنّ؟ قال: ففي العميان. قال: أمّا هذه فنعم؛ فإن الله تعالى يقول ﴿فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ «الحج: 46» قال له: وتتفضّل في إثبات ولديّ في الأيتام. قال: نعم، لأنه من تكون أنت أباه فإنّه يتيم. (ص15)	
شتم رجل رجلا، فقال المشتوم: أنا لا أدخل في حرب الغالب فيها شرّ من المغلوب.(ص16)	الرفض والاستهانة
قال معاوية لعقيل بن أبي طالب: ما حال عمّك أبى لهب؟ قال: في النار مفترشا وعمّتك حمّالة الحطب.(ص18)	الذّم
قال العتبى: تعرّت أم الضّيرم الحضرميّة يوما وزوجها ينظر إليها فقالت: ما ترى؟هل ترى في خلق الله من تفاوت؟ فقال وأشار إلى ركبها، أرى ها هنا شيئا من فطور.(ص18)	المزاح
لقي خالد بن صفوان الفرزدق، فقال: لا مرحبا بهذا الوجه الذي لو رآه صاحبات يوسف لما أكبرنه ولا قطّعن أيديهنّ. فقال له الفرزدق:ولا مرحبا بوجهك الذي لو رأته صاحبة	التهكم

موسى لم تقل لأبيها: يا أبت أستأجره إنّ خير من استأجرت القويّ الأمين.(ص24)	
قيل لرجل بخيل: لمَ تحبس مالك؟ قال: للنوّايب. قيل: فقد نزلت به.(ص40)	التحقير
عيّر رجل شريف وضيع النّفس قراط بحسبه؛ فقال: أنا شرفي منّي يبتدي، وأنت شرفك إليك ينتهي. (ص111)	التحقير
ونظر ايدجانس إلى رجل أحمق جالس على حجر، فقال: حجر على حجر.(ص114)	التّحقير
قيل لطاليس: أي الحيوانات لا يشبع؟ قال: الإنسان الذي يربح.(ص116)	التّحقير
قال كسرى للمويذ: ما قيمة تاجي هذا؟ فأطرق ساعة ثمّ قال: ما أعرف له قيمة إلاّ مطرة نيسان؛ فإنّها تُصلح من معاش الرّعية ما تكون قيمته مثل مقدار ثمن تاج الملك.(ص117)	الذم (في صيغة المدح)
قيل لبزرجمهر: ما بالكم لا تعاتبون الجهلة؟ فقال: إنّا لا	الاستهانة والتحقير

نريد من العميان أن يبصروا.(ص118)	
وقيل له –ديوجانس–: لم جعلت خاتمك في يدك الشمال؟ قال: لأعرف المتكلّفين ومن لا يعنيه شأنه.(ص121)	التوبيخ
نظر ديوجانس إلى رجل حسن الوجه يكذب، فقال: أما البيت فحسن، وأمّا السّاكن الذي فيه شيطان.(ص124)	التهكم والذّم
وقف جَدْي على سطح، فمرّ به ذئب،فأقبل الجدي يشتمه، فقال له الذئب: ليس أنت الذي تشتمني، إنّما المكان الذي أنت فيه.(ص125)	التهكم
قال بعض المتكلمين لرجل حدّثه بحديث: أعد عليّ حديثا سمعته منك. قال: أيّما هو؟ قال: كأنّك أردت أن تعلمنا غزارة علمك، ما أظنّك تحفظ غيره.(ص145)	الاستهانة
قال بعض المتكلمين لبعض النصارى: لمَ قلتم: إنّ الباري –جلّ ذكره– له ولد؟ قال: من قبل أنّى رأيت من لا ولد له فهو عقيم، وهي صفة ذمّ، والذّم منفى عنه. قال: فللابن ولد؟ قال: لا قال: فابنه عقيم، وقد أدخلت عليه صفة ذمّ.	الذم

فانصرف، وانقطع.(ص149)	
شاتم أعرابيّ ابنه، فنفاه وقال: لست بابني. فقال: والله، لأنا أشبه منك بأبيك، ولقد كنت أغير على أمي من أبيك على أمّك.(ص154)	الذم والتأكيد
تكلّم ربيعة بن أبي عبد الرحمن يوما فأسهب، وأعرابي ينظر إليه؛ فظنّ أنّه أُعجب بكلامه، فقال له: ما تعدّون البلاغة فيكم يا أعرابيّ؟ قال: خلاف ما كنت فيه اليوم.(ص154)	الذم
قال تميم بن نصر بن سيّار لأعرابي: هل أصابتك تخمة قطُّ؟ قال: أمّا من مالك ومال أبيك فلا.(ص157)	التهكم
سرق أعرابي نافحة مسك، فقيل له في ذلك: إنّ كلّ من غلّ يأتي بما غلّ يوم القيامة. فقال: إذن والله أحملها طيّبة الريح خفيفة المحمل.(ص157)	المزاح
قيل لأعرابيّ: فلان فارس. فقال: والله لو ركب حائطا لخاف أن يجمح به.(ص158)	الاستهانة
خطب رجل فأحسن، وشيّعه آخر فأحسن، فقال أعرابي لمن كان معه: إن كان له حسن الابتداء، فإنّ لك حسن	التهكم

الاقتفاء.(ص161)	
قيل لأعرابي كثير الكلام: ليس لهذا انقطاع؟ قال: بلى، ولكن إذا انقطع وصلناه.(ص162)	المزاح
قال ابن الأحنف لجارية أبيه: يا زانية. قالت: لو كنت فاعلة، أتيت أباك بمثلك.(ص175)	التحقير

1-2-خروج الإنشاء عن معناه الأصلي:

1-2-1- الاستفهام:

لا يختلف مفهوم الاستفهام في الاصطلاح عند النّحاة والبلاغيين عن معناه اللغوي، ومن كلامهم فإنّ الاستفهام هو«أسلوب هدفه في الأصل طلب معرفة لم تكن متحققة للمستفهم من قبل، ويكون لأحد الأمرين:

1-التصديق: وهو إدراك النّسبة أو الحكم، أو العلاقة القائمة بين المسند والمسند إليه.

2-التّصوّر: وهو إدراك أحد أجزاء الجملة».[1]

كما اعتبر "أوستين" و"سيرل" الاستفهام أو ما تحوّل عن الاستفهام من صور الأفعال الإنجازية. ولقد انتبه علماء العرب قديما على اختلافات اهتماماتهم العلمية إلى خروج

[1] هيثم الثوابية: **الاستفهام البلاغي في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، دراسات العلوم الانسانية والاجتماعي**ة، المجلد 41، ملحق1، 2014،ص501.

الاستفهام عن دلالته الحرفية المباشرة إلى دلالات أخرى كالنهي، والتّمني، والدّعاء، والنّفي، والإثبات وغيرها، وذلك عند الإخلال بشروطه التي تقتضي أن يكون الاستفهام متعلقا بالمستقبل، وأن تكون إجابة السؤال في إمكان المسؤول، وبحسب رأي الدارسين فإن الاستفهام من أكثر الأساليب المستخدمة في إنجاز الأفعال الكلامية بطريقة غير مباشرة، ويمكن عرض نماذج من أبواب الأجوبة المسكتة للخطاب الساخر حتى نفهم الأغراض التي خرجت عن الاستفهام.

الاستفهام	غرضه
قيل لسعيد بن المسيّب، وقد كُفَّ: ألا تقدح عينيك؟ قال: حتى أفتحها على من؟. (ص10)	التّهكم
اجتمع قوم بباب الأوزاعي يتذاكرون ورجل من كلب ساكت؛ فقال له رجل: بحقّ سمّيتم خرس العرب. فقال له: يا هذا، أما علمت أن لسان الرجل لغيره، وسمعه له؟ (ص12)	الذم (على وجه المدح)
تكلّم رجل بحضرة معاوية فهذر، ثمّ قال: أسكتُ يا أمير المؤمنين؟ قال: وهل تكلّمت؟. ثمّ أقبل على بعض جلسائه، فقال:أما ترى تعثّر لسانه بكلامه، وتعثّر كلامه بلسانه؟ (ص15)	التهكم

شتم رجل ايدجانس، فلم يردّ عليه، فقيل له في ذلك، فقال: إن نبحك كلب تنبحه، أو رمحك رمح ترمحه؟. (ص115)	التحقير
كتب فيلسوف على بابه: لا يدخل هذا المنزل شرّ، فقال ديوجانس: فمن أيّ باب تدخل امرأتك إذا؟ (ص114)	التهكم
نظر ديوجانس إلى إنسان يتهاون بأبيه، فقال له: ما تستحي تحقّر الذي به أعجبتك نفسك؟. (ص124)	التوبيخ
قيل للجاحظ: قد وضع جعفر بن حرب كتابا يردّ فيه على النظام. فقال ها هنا واضع له، وواضع به، فأيّما هو؟ (ص105)	التحقير
خطب أعرابي إلى قوم، فقال له أهلها: إنّ لها من المال كذا وكذا من الأثاث، والماشية كذا: فما مالك؟ قال: إن كان ما ذكرتم لها. فهو يكفيني وإيّاها ما بقينا، فما حاجتكم إلى مالي؟ (ص154)	التحقير
لقي الحجّاج أعرابيا، فسأله عن نفسه، والحجّاج لا يعرفه، فلم يترك قبيحا إلا نسبه إليه. فقال الحجاج:	المزاح

قتلني الله إن لم أقتلك. قال له: فأين حق الاسترسال؟ (ص155)	
قال عمر بن العاص لأمة معها طبق مغطّى: ما في الطبق؟ قالت: فلمَ غطيناه إذن؟ (ص167)	الاعتراض

2- الفعل الكلامي من الحجاج إلى الإنجاز:

إنّ الأفعال الكلامية في الأجوبة المسكتة عامة وفي الخطاب الساخر خاصة، تكاد تعادل التداوليّة من حيث الهدف العام، وهو الاستعمال اللغوي في التواصل الإنساني، فخطاب "ابن أبي عون" منضو على خطاب لغوي يهدف إلى إنجاز أفعال تعدّدت بتعدد أنواع هذا الخطاب، لتكون غاية يختارها الإنسان لنفسه لغرض ما، ملتزما في ذلك بتعليلات لها حتى تبرر فعله هذا، والذي ينتج بفضل التعاون الحاصل بين المتكلم والمتلقي، حيث إنّ هذا المؤلف قد اعتمد على الحجاج في هذه الأفعال حتى يحتجّ بها على المتلقي ويقنعه بتغيير قوانين تعامله ومنظومة اعتقاداته لما لها من نفع أو ضرر عليه أو على مجتمعه، معتمدا في ذلك على النوادر والأخبار والقصص في قوالب مؤثرة، كاعتماده على الحكم والأمثال والعبر، والتي تتسم بسهولة حفظها ما جعلها أحسن القوالب النثرية لتعليم الناس وتوجيههم ضمن حجج دامغة مفحمة، قصد التوجيه والتعليم الذي يبتغيه، ويحاول ابن أبي عون بلوغه حتى يجعل من القارئ يتأثّر بهذه الحجج ويقتنع بها بعدما تأثّر بها ثم ينجزها.

المبحث الرابع: الإشاريات والعلاقات التخاطبية (المقاصد الموضعية):

الإشاريات هي تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم مع التفريق الأساس بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عنه، ولا يقف دور هذه الاشاريات في السياق التداولي عند الإشاريات الظاهرة، بل يتجاوزها إلى الإشاريات ذات الحضور الأقوى عند التلفظ بها، فتكون مستقرة في بنية الخطاب العميقة، و هنا يظهر بعدها التداولي في استراتيجية الخطاب، كما أنه لا يمكن أن تتم عملية التلفظ بالخطاب دون حضور هذه الأدوات الإشارية الثلاثة: وهي (الأنا، الهنا، الآن)[1]، ويمثل كل منها نوعا من الإشارات هي:

1- الإشاريات الشخصية:

وهي الإشاريات الدّالة على المتكلم أو المخاطب أو الغائب، فالذات المتلفظة هو المرسل الذي يتغير بتغير السياق الذي تلفظ فيه، فيكون محور التلفظ في الخطاب تداوليا،مما يجعل حضور (الأنا) يرد في كل خطاب دون تضمينها شكلا في كل لحظة، بل يعول على وجودها في كفاءة المرسل إليه بالقوة، واستحضارها يساعده في تأويل الخطاب. ولا يتلفّظ المرسل بضمير المتكلم ابتداء من خطابه، خصوصا عند اجتماعه بالمرسل إليه، بسبب المشاهدة التي تفسر هذا الحضور، ولا يتلفظ به إلا في حالات معينة، كأن يسوّغ فعله اللغوي في الخطاب المبدوءة بـ (نحن)، إذ يشير إلى البعد الثقافي بإحالته لغويا على الجمع،

[1] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: **استراتيجيات الخطاب**، ص81.

رغم أن المرسل مفرد. وهذا التفاوت بين المرجعين: الحقيقي والثقافي للربط بين الضمير (نحن) و (أنا)، هو ما لا تختزنه كفاءة المرسل إليه. وكذلك الضمائر المستترة ضربٌ من الإشاريات التي تدرك الإحالة عليها من السياق، ويتطلب البعض منها حضورا عينيا لأطراف الخطاب، كما في الأمر والنهي.[1] وفي حوارات الأجوبة المسكتة الساخرة نجد:

المخاطِب (أنا)	المخاطَب (أنت)
قلتُ- بيتي- كنتُ- أتيت- عليَّ- سمعته- أصيّر- أقدّم- ابني- أشبه- أمي- أغير- وددّت- بطني- وسطي- أجدني- مني- أغبط- تاجي- آكل- بعدي- أشهد- لي أجدتُ- أوصيتُ- احتجت- عقلي- نعتي- عيشي- أقدرني...	تقول- قلت- سئلت- بيتك- مثلك- منك- أعد- أنّك- أردت- تعلمنا- أظنك- علمك- تحفظ- تقدر- تقدم- تؤخر- أدخلت- تزعم- أمك- أبيك- لهاتك- أصابتك- مالك- كذبت- ثيابك- إنك- فيك- رضيت- رمحك- تقدح...

لهذه التراكيب دور هام في توجيه الخطاب، لذا نجد "ابن أبي عون" وفي اختياره لخطاباته ينتقل من ضمير المفرد إلى ضمير الجماعة، ومن ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم، أو من المتكلم إلى الغائب. وتنوّعها ساعدت القارئ في فتح نوافذ التأويل والإحاطة بالمعنى الباطني دون الظاهري لمقصديته، فجاءت في معظمها صيغا تركيبية لهذا الضمير مشكّلة ضمن نسق يفيد الإخبار: فعل، ضمير المتكلم (متصل ومسستر)، والكاف التي تعود على

[1] ينظر: عبد الهادي بنظافر الشهري: **استراتيجيات الخطاب**، ص82-83.

المخاطَب المفرد، الصفة...، أما "ضمير الغائب" فقد استعان به "ابن أبي عون" ليخبر به ويقصص عن الأولين، فنلاحظ هذا من خلال إضافته إياه للمخاطَب (أنا) والمخاطِب(أنت)، وتحيل المؤشرات التركيبية: إلى الغائب بصيغة الجمع (الأولين)، وهذا الغائب الذي أطلق عليه "بنفنست" Benviniste بـ "اللاشخص"، أما المخاطِب هو القائل أو الكاتب نفسه والمخاطَب هو المتلقي آنذاك أو القارئ من أي عصر كان. فالضمائر إذا تلعب دورا مهما في الربط بين متتاليات النص عن طريق الربط بين العلاقات التي تتبادلها بين أنواعها الثلاثة: المتكلم، والمخاطب، والغائب. وفي هذه الخطابات نجد علاقة ديناميكية قائمة بين عنصري المقام أثناء الخطاب، أما المضامين القائمة بينهما قد تكون موضوعا خطابيا عنهما أو أحدهما، وذلك حسب السياق. كما قد نجد ضمير الغائب (اللاشخص) في هذه النصوص هو السياق الأساسي لهذا الخطاب بين المتخاطبين وأساس الحوار، فكلٌّ حسب المقام. وأمثلتها كثيرة، ومنها:

قيل لأعرابيّ: فلان فارس. فقال: والله لو ركب حائطا لخاف أن يجمح به[1].

ففي هذا الشاهد نرى أن نص المتخاطبين يعود على اللاشخص الذي أشرنا إليه سابقا.

مال أعرابيّ على باب دار فقال له صاحبها: ليس ها هنا أحد، فقال الأعرابي: إنّك لأحد لو جعل الله فيك بركة.[2] أما هنا فنص الخطاب تحول مضمونه من الغائب إلى أحد أطراف هذا الخطاب (المتكلم أو المخاطب).

[1] إبراهيم بن أبي عون: **الأجوبة المسكتة**، ص158.

[2] المصدر نفسه، ص160.

قال رجل سفيه لرجل صالح: ما أشقى عيشك. فقال له الصّلح: ما أقدرني على مثل عيشك، وأبعدك من القدرة على مثل عيشي.[1] وأطراف الخطاب في هذا الشاهد موضوعا يتضمّن حديثا عنهما.

قال معاوية لعقيل، وكان عجيب الجواب: إنّ فيكم يا بني هاشم لشبقا. فقال: هو منّا في الرّجال ومنكم في النساء.[2] أما في هذا الشاهد فنلاحظ أن الضمير المفرد يتحول إلى الجمع ليعبر عن نزعة قوم في أمر ما.

2- الإشاريات الزمنية:

ومن أجل تحديد مرجع الأدوات الإشارية الزمنية وتأويل الخطاب تأويلا صحيحا، «يلزم المرسل إليه أن يدرك لحظة التلفظ، فيتخذها مرجعا يحيل عليه، ويؤول مكونات التلفظ اللغوية بناء على معرفتها»،[3] كما يندرج تحت الاشاريات الزمنية أسماء الزمان والظرف نحو: الآن، قبل، بعد، حين...، وكلها تقدم مرجعا زمنيا يمكن أن يساعد في تحديد زمن وقوع الفعل، كما أنها علامات التعيين الزمني التي يتطلب تأويلها ربطها بمن يتكلم، كما يمكن ربطها بالمتلقي. وتستثمر التداولية في التعرف على مقاصد المتخاطبين، وقد وردت في الخطابات الساخرة للأجوبة المسكتة كما يلي:[4]

---

[1] نفسه، ص160.

[2] إبراهيم بن أبي عون: **الأجوبة المسكتة**، ص8.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري: **استراتيجيات الخطاب**، ص83.

[4] ينظر: د.هاجر مدقن: **حجاجية المثل التّوصيلي في كتاب كليلة ودمنة**، ص22.

زمن إلقاء الخبر أو الحكي (سابقا=الماضي)	زمن وقوع الأحداث	
	أحداث القصة الإطار	أحداث القصة الفرعية
قال- قيل- سمع- مرّ- اجتمع- حدّثنا- ظهر- تكلّم- ذكر- شتم- دخل- لقيّ- جاء- عيّر- افترى- نظر- وقف- كتب- حدّث- خاط- مال- عاد...	خرج(سابقا)-أسكتُ (مستقبلا)- بركتنا(سابق،الآن،مستقبلا) - رُفع (سابقا)- أقتلنك(الآن)- أشهد(الآن)- تدعُ (الآن)- لا يبصر (سابقا،الآن،المستقبل)	مفترشا(سابقا،الآن)- حمّالة (سابقا،الآن)- لم تقل(سابقا) ليُوحون(سابقا،الآن،مستقبلا)- نبحك(سابق،الآن،مستقبلا)- أخذت(سابقا)- أعد(الآن)- أن يبصروا(الآن،مستقبلا)

فكلّ هذه الإشارات وغيرها تشكّل علاقات متباينة بين عناصر الكلام في الخطاب لتحديد المعطيات الزمانية والمكانية في فعل التّلفظ، ضمن المعاني المناسبة لهذا الفعل، والذي تفرضه العملية التخطابية.

3- الإشارات المكانية:

لا ينفك المرسل عن المكان عند تلفظه بالخطاب، وهذا ما يعطي الإشاريات المكانية مشروعية إسهامها في الخطاب، فنجد أنها تختص بتحديد المواقع بالانتساب إلى نقاط

مرجعية في الحدث الكلامي، وتقاس أهمية التحديد المكاني بشكل عام انطلاقا من الحقيقة القائلة إنّ هناك طريقتين رئيستين للإشارة إلى الأشياء هما: إما بالتسمية أو بالوصف من جهة أولى، وإما بتحديد أماكنها من جهة أخرى. كما أنّ تحديد المرجع المكاني مرتكز على تداولية الخطاب، وهو ما يؤكد أهمية استعماله لمعرفة مواقع الأشياء.[1]، كما يلفت الباحثين إلى أنّ عناصر الإشارة إلى المكان قد تنقل للإشارة إلى ما يسمونه المسافة العاطفية Emotional distance وتسمى عندئذ الإشارة الوجدانية empathic deixis، وهو قريب مما أسماه علماء المعاني عندنا: التحقير بالقرب نحو قوله تعالى ﴿**أهذا الذي يذكر آلهتكم**﴾ والتعظيم بالبعد كقوله عزّ وجل: ﴿**ألم. ذلك الكتاب**﴾،[2] ومن أمثلته في الخطاب الساخر نذكر:

تسمية أو وصف المكان	تحديد المكان
بعدي- عندي- قربني- أدنى- ما بين- باعد- هذه- أقربكم- أخر- ركب...	باب الأوزاعي- محرابها- الدنيا- إليك- ضيعة- مسجد- منزل- طريق- رأسك- جمجمتك- حجر- باب- يدك- الأرض- الطبق- الشام- البصرة- حائطا...

«كما تجدر الإشارة إلى أنّ معرفة المواقع في كل الخطابات تستلزم شيئين هما: معرفة مكان التلفظ، واتجاه المتكلم؛ لأنّه قد يقود استعمال إشاريات المكان في غياب الدّقة في التحديد

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري: **استراتيجيات الخطاب**، ص84.

[2] محمود أحمد نحلة: **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص23.

عند التلفظ إلى اللبس وتحاشيا لذلك اللُبس؛ لأنه يعمَد المرسل إلى افتراض موقع المرجع وموقع المرسل إليه. كما أنّ المرسل لا يكتفي، لتحديد المرجع للإشاريات المكانية، بتعريفها بناء على موقع المرسل إليه واتجاهه فحسب، بل بالنسبة للأشياء الأخرى التي يستعمل دوالها اللغوية في خطابِه».[1]

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري: **استراتيجيات الخطاب**، ص85.

خاتمة

من خلال هذه الدراسة توصلنا إلى جملة من النتائج نلخص منها فيما يأتي:

- إنّ القارئ للأجوبة المسكتة سيلحظ بوجود خطاب نصيحة وتوجيه، لأنّه وفي هذه الخطابات الساخرة مواقف يستدل بها الكاتب عن ضرورة نبذ وترك فعل ما والتّحلي بالأفعال المناقضة لها لما فيها من نفع على الفرد والمجتمع. أي الاعتماد على الثنائية الضدية (الفعل≠الترك).
- إنّ القارئ للأجوبة المسكتة سيلاحظ أنّ صاحبه قد خصّصه لجميع المعاملات التي تحدث في حياة الإنسان.
- اعتماد ابن أبي عون على سياق السؤال والجواب، ولمّا كان المتلقي هو محور الحجاج، توجّه إلى القارئ الأوّل بتمريره خطابا مضمرا تميّز بالدّقة والصّواب والدّهاء حتى تكون له منفعة تغيير الظروف السياسية والاجتماعية، كما توجّه إلى القارئ المفترض بكل براعة وذكاء وبحجج مقنعة ومؤثّرة تعرّفه بما كان يجهله أو ما كان يعلمه.
- اعتمد ابن أبي عون على الجوابات التي تهذّب النفس عن طريق العقل، التّعلّم، الفلسفة، الدّين والإيمان بقضايا إنسانيّة. ومن خلال وحداتها ظهرت الخطابات السّاخرة المسكتة.
- الجواباب المسكتة بعامة والخطابات الساخرة بخاصة كان لها احتمال الإقناع والإمتاع من جهة، والإسكات وإفحام الخصم وإنهاء الحديث من جهة أخرى.

- الإيجاز في التعبير صفة امتاز بها الرجل القائد العسكري في إعطائه الأمر فتطبيقه دون الإسهاب والتبرير، وهذه الخاصيّة بدورها انعكست على الجوابات المختارة.
- تعتمد الخطابات الساخرة المسكتة على استراتيجية تخاطبية تناسب وسيّاق الكلام. وعناصر المقام من متكلّم ومتلق من أساسيات الاستراتيجية التخاطبية، وكل له الأهمية في نجاح الخطاب الساخر.
- اللغة في الخطابات السّاخرة كانت متلوّنة بتلوّن المعنى، فتجلّت المفارقة بأنواعها في هذه الخطابات، وهي سمّة دلالية تعطي للموقف دلالة لتخفي من ورائها دلالة أخرى.
- السّخرية وجه للكلمة ووجه للفكر، فهي تناقض بين ما نفكّر به حقيقة وبين المعنى الجانبي للخطاب الذي نتلفّظ به.
- يكشف عنوان المدوّنة الذي يمثّل العلامة المفتاح عن مضمون الخطاب المسكت.
- تبلورت الحجاجية حول الخطابات الساخرة المسكتة بقصد التوجيه. واعتمدت في ذلك على جملة من الروابط الحجاجية التي ساهمت في انسجام النص واتّساقه لبلوغه المقاصد.
- اعتماد المتلقي في الخطابات السّاخرة على الحجاج البلاغي كآلية في تقويم السّلوك.
- تحمل الخطابات الساخرة المسكتة في معظمها أفعالا كلامية إنجازية غير مباشرة.

- اتّكأت الأجوبة الساخرة على الأسلوب الخبري لقصديّة الإخبار، والذي يخرج إلى معان غير معناه الأصلي. وعلى الأسلوب الإنشائي، والذي جاء في معظمه، بصيغة الاستفهام، الذي جاء بصيغة غير مباشرة لغرض الإقناع والإنجاز. والقرائن القوليّة كالإشاريات ساهمت في تحديد وتوجيه العلاقة التخاطبية
- للخطابات الساخرة في الأجوبة السكتة لابن أبي عون مقاصد تداولية تمثّلت في التوجيه والتّعليم.

قائمة

المصادر والمراجع

المصادر:

1- إبراهيم بن أبي عون: الأجوبة المسكتة، درا وتح: د. مي أحمد يوسف، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعية، قسم اللغة العربية، جامعة اليرموك، القاهرة، 1996.

2- الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون،ج1، دار الجبل، بيروت، لبنان،

المراجع:

3-أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ط1، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، 2006.

4-أحمد أمين: صدر الإسلام، ج1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م.

5-تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، 1994.

6-جابر عصفور: الصورة الفنيّة في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992.

7-حمّادي صمود: أهم نظريّات الحجاج من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس.

8-خالد سليمان: المفارقة والأدب، دراسات في النظرية والتطبيق، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

9-السيد عبد الحليم محمد حسين: السخرية في أدب الجاحظ، ط1، الدار الجماهرية للنشر ولتوزيع والإعلان، 1988م.

10- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النّص، عالم المعرفة، الكويت، 1992.

11- طه عبد الرحمن: اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب،1988.

12- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ط12، دار المعارف.

13- شوقي ضيف: الفكاهة في مصر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1969م.

14- عبد العزيز عتيق: علم المعاني، ط1، دار النهضة، بيروت، 1985.

15- عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط2، دار الفرابي، بيروت، 2007.

16- ــــــــــــــــ: الحجاج في القرآن الكريم من خلال خصائصه الأسلوبية، منشورات كلية الآداب، منوبة، 2001.

17- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت.2004.

18- علي محمود حجي الصّراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة تداولية في معجم سياقي، ط1، مكتبة الآداب،2010.

19- عمارة ناصر: الفلسفة والبلاغة، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2009.

20- محمد أبو موسى: التصوير البياني، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1993.

21- محمد العبد: المفارقة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة، دار الفكر العربي، ط1،1994.

22- محمّد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1991.

23- محمد عبد المنعم خفاجي: ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان، دار الجيل ، بيروت 1991م.

24- محمد كريم الكواز: البلاغة والنقد، المصطلح والنشأة والتجديد، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، لبنان، 2006.

25- محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التّناص، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،1992.

26- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002.

27- محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية، الجزء الثاني، ط6، المكتب الإسلامي، 2000م.

28- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1، الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2005.

29- ناصر شبانة: المفارقة في الشعر العربي لحديث، أمل دنقل، سعدي يوسف، محمود درويش نموذجا، ط1، المؤسسة العربية للدراسات، دار فارس للنشر والتوزيع،عمان، الأردن، 2002.

30- نبيل راغب: الأدب الساخر، موسوعة الإبداع الأدبي، مكتبة الأسرة، 2000م.

31- نعمان محمد أمين طه: السخرية في الأدب العربي، دار التوفيقية للطباعة، الأزهر، ط1، 1978م.

32- هيثم الثوابية: الاستفهام البلاغي في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 41، ملحق1، 2014.

المراجع المترجمة:

33- آن روبول، جاك موشلار: التداوليّة اليوم، علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مرا: لطيف زيتوني، المنطقة العربية للترجمة، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2003.

34- دي سي ميويك: موسوعة المصطلح النقدي، المفارقة وصفاتها، الترميز الرعوية، تر: عبد الواحد لؤلؤة، مج4، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان،1993.

المعاجم والقواميس:

35- ابن منظور: لسان العرب، (مادة قصد) المجلد 3 ، ط1، دار الصادر، بيروت، 1994.

36- ـــــــــــ: لسان العرب، تح، عامر أحمد حيدر، ج4 ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م

37- ـــــــــــــ: تهذيب لسان العرب الجزء1، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1993م.

38- مجد الّدين بن يعقوب الفيروز آبادي: قاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 1426هـ/ 2005م.

الرسائل الجامعية:

39- إبراهيم إيدير: القصدية في الأدب الكبير لابن المقفع، دراسة تداولية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.

40- سامية مشتوب: السخرية وتجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة، مذكرة لنيل شهادة

41- الماجستير، اللغة والأدب العربي، تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2011.

42- سعاد سلامي: السخرية والتهكم في ملصقات عز الدين ميهوبي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015.

43- شعيب بن أحمد بن محمد عبد الرحمان الغزالي: أساليب السخرية في البلاغة العربية، دراسة تحليلية تطبيقية، رسالة علمية في البلاغة والنقد مقدمة لنيل درجة الماجستير،1414هـ،ص2

44- علاء الدين أحمد الغرايبية: المفارقة في الخطاب الساخر أحمد حسن الزعبي أنموذجا، كلية الأدب-قسم اللغة العربية، جامعة اليتونة الأردنية الخاصة.

45- نزار عبد الله خليل: السخرية والفكاهة في النثر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، جامعة مؤتة،2005.

46- نسيمة تشابونت: قصدية التواصل في الخطاب الكاريكاتوري، دراسة تداولية، جريدة الخبر أنموذجا، مذكرة ماستر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2014.

47- هاجر مدقن: حجاجية المثل التواصيلي في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع، مقاربة تداولية، رسالة دكتوراه، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2001.

48- هويدا الطريفي: ملامح الحياة الاجتماعية في العصر العباسي من خلال شعر ابن الرومي، رسالة ماجستير الآداب في اللغة العربية، أفريل، 2009.

المجلات والحوليات:

49- برهومة عيسى، تمثّلات اللغة في الخطاب السياسي، مجلة عالم الفكر، ع1، المجلد36، 2007، ص125.

50- خالد ناصري ، مقاصد الخطاب في الأربعين النووية، مقاربة تداولية، حوليات الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف المسيلة.

51- زينة جواد، سهيلة طراريست: تجليّات السخرية في القصة العربية المعاصرة بين زكريا تامر وسعيد بوطاجين أنموذجان.

52- ناصر عبد الله أبو كرووق، العصر العباسي بين المحاسن والمساوئ وعظات التاريخ،مجلة الآداب، العدد3 جامعة إفريقيا العالمية، كلية الآداب، قسم التاريخ.

53- نبيلة إبراهيم: المفارقة، مجلة فصول، مجلة النقد العربي، مج07، ع3و4، أفريل، 1987.

المقالات والمحاضرات:

54- أبو بكر العزاوي: الحجاج في اللغة، مجلة المنارة، من موقع:
http://www.almanarah.com

55- ثائر سمير حسن الشمري: الأدب العربي في العصر العباسي، كلية التربية الأساسية، قسم اللغة العربية، جامعة بابل، 2014.
www.uobabylon.edu.iq/eprintsLpublication_2_2877_619.pdf

56- شمسى واقف زادة: الأدب الساخر أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية، فصلية دراسات الأدب المعاصر، السنة الثالثة، العدد 12.

57- عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003.

58- يونسي فضيلة: مفهوم المقاصد وعلاقتها بالخطاب، تناول تداولي للخطاب الثوري، المركز الجامعي البويرة.

مقدمة.....أ

مدخل: القصدية: ماهية المصطلح عند الباحثين.....7

الفصل الأول: السياق التداولي العام وقصدية الكتابة.....15

تمهيد.....16

المبحث الأول: المشهد الفكري والسياسي باعتبارهما موجهين لنتاج ابن أبي عون.....18

1- السيّاق الخارجي.....18

2- البنية الشكلية لكتاب الأجوبة المسكتة.....30

المبحث الثاني: السخرية وطريقة تجليها في الأجوبة المسكتة.....38

1- مفهوم السخرية (لغة واصطلاحا).....39

2- الأدب الساخر في الأجوبة المسكتة.....44

المبحث الثالث: الاستراتيجية التخاطبية.....49

تمهيد.....49

1-عناصر المقام.....51

1-1-المرسل.....52

1-2-المرسل إليه.....55

1-3- العلاقة بين أطراف الخطاب.....59

الفصل الثاني: المقاصد التواصلية ونقد المؤسسة الاجتماعية.....61

المبحث الأول: قصد الإخبار والاستخبار.....62

1-السؤال والجواب وقصد الإفهام والفهم.....64

2-السخرية وخطاب المفارقة.....66

2-1-أوجه المفارقة.....68

2-1-1-المفارقة اللفظية.....68

2-1-2-المفارقة الدرامية.....69

2-1-3-المفارقة السقراطية.....70

2-1-4-المفارقة البنائية (التركيبية).....71

2-1-5-مفارقة الموقف 71

المبحث الثاني: حجاجية التمثيل البلاغي وآلياته في الخطابات الساخرة.....75

1-المقاصد البلاغية البيانية: 76

1-1-حجاجية التشبيه.....77

1-2-حجاجية الاستعارة.....79

1-3-حجاجية الكناية.....82

2- الروابط الحجاجية.....85

المبحث الثالث: الفعل الكلامي والقصد التوجيهي.....89

1-الأفعال الإنجازية غير المباشرة.....91

1-1-خروج الخبر عن معناه الأصلي.....91

1-2-خروج الإنشاء عن معناه الأصلي.....97

1-2-1-الاستفهام.....97

2-الفعل الكلامي من الحجاج إلى الإنجاز.....100

المبحث الرابع: الإشاريات والعلاقات التخاطبية (المقاصد الموضِعية) 101

1-الإشاريات الشخصية.....101

2-الإشاريات الزمانية.....104

3-الإشاريات المكانية.....105

خاتمة.....108

قائمة المصادر والمراجع.....112

الفهرس

ملخص

ملخص:

اشتغلنا في هذه الدراسة على المقاصد التداولية وكيفية تجليها في الخطاب الأدبي التواصلي الساخر في كتاب الأجوبة المسكتة لابن أبي عون.

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز الاستراتيجية التخاطبية وكيف اعتمد عليها المرسل لإيصال مقاصده، وذلك بطابع حجاجي تواصلي، معتمدين في ذلك على بعض الآليات كالسلم الحجاجي، والروابط الحجاجية، وكذلك على حجاجية الفعل الكلامي، وصولا إلى المقاصد الإجمالية التي يريدها المرسل.

الكلمات المفتاحية: المقاصد التداولية ، الخطاب الأدبي، السخرية، الحجاج، المقاصد الإجمالية.

Résumé :

On a travaillé sur les intentions pragmatiques et leurs manières d'apparaitre dans le discours littéraire communicatif, et on a choisi الأجوبة المسكتة de IBN ABI AWN comme corpus.

Comme on a visé ses stratégies d'informer et qui sont les récepteurs de ce discours argumentatif.

Dans cela on a choisi l'échelle argumentatives et les connecteurs argumentatifs et aussi l'argumentation des actes de langage. Tout ça pour atteindre les intentions globales.

Mots clés: Intentions pragmatique, Discours Littéraire, Argumentation, Intentions globales.

Summary :

We worked on pragmatic intentions and their ways of appearing in the communicative literary discourse, and we chose الأجوبة المسكتة from IBN ABI AWN as corpus.

As we have targeted his strategies to inform and who are the receivers of this argumentative discourse.

In this we have chosen the argumentative scale and the argumentative connectors and also the argumentation of speech acts. All this to achieve the global intentions.

Key Words: Pragmatic Intentions, Speech Literary, Argumentation, Global Intentions.